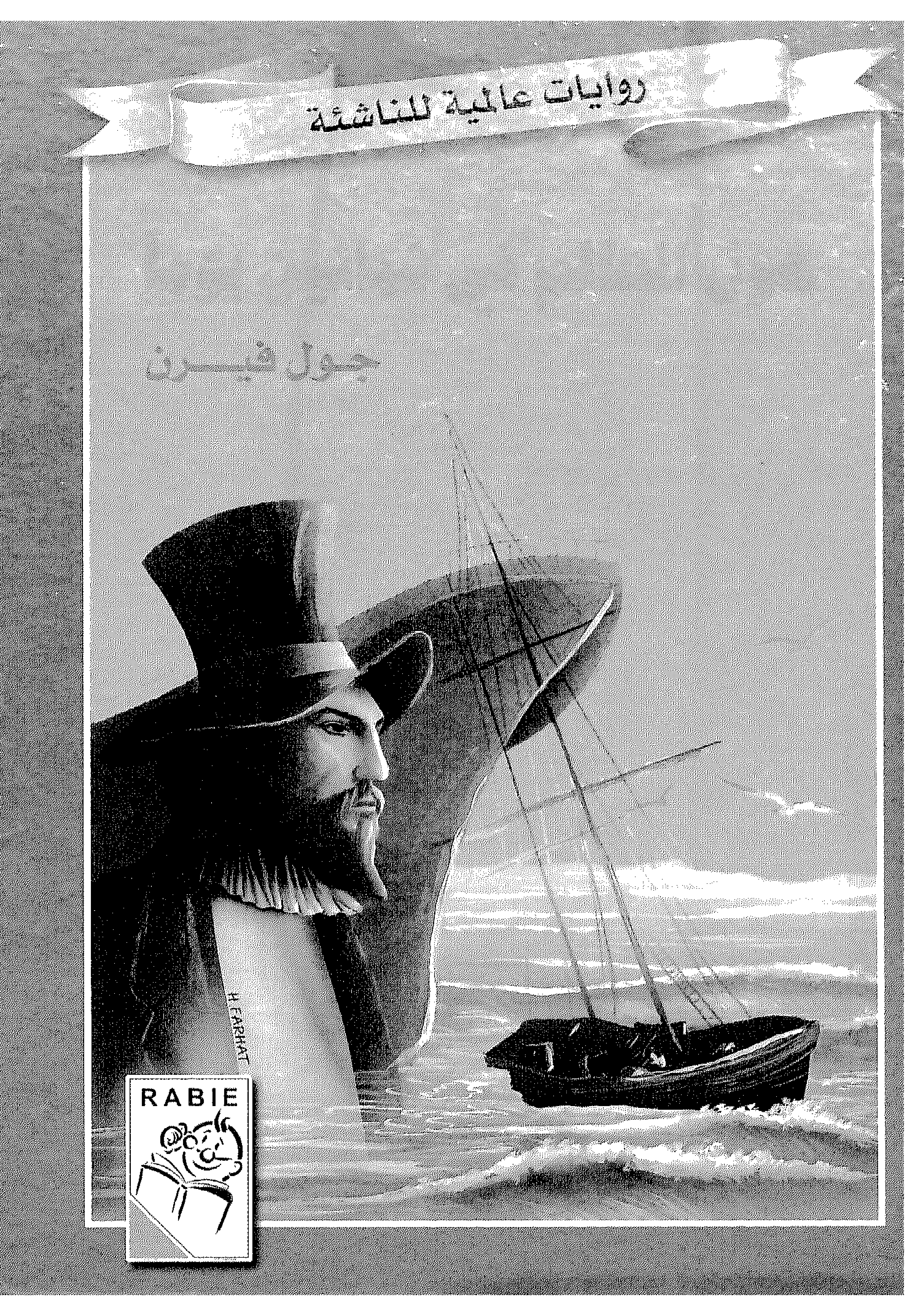

روايات عالمية للناشئة
جول فيرن
H. FARHAT
RABIE

روايات عالمية للناشئة

حول العالم في ٨٠ يوماً

حول العالم في 80 يوماً

(جول فيرن)

1905 –1828

ترجمة

د. محمد نديم خشفة

ذكرى حاج حسين

إشـــراف : محمـــد كمـــــال

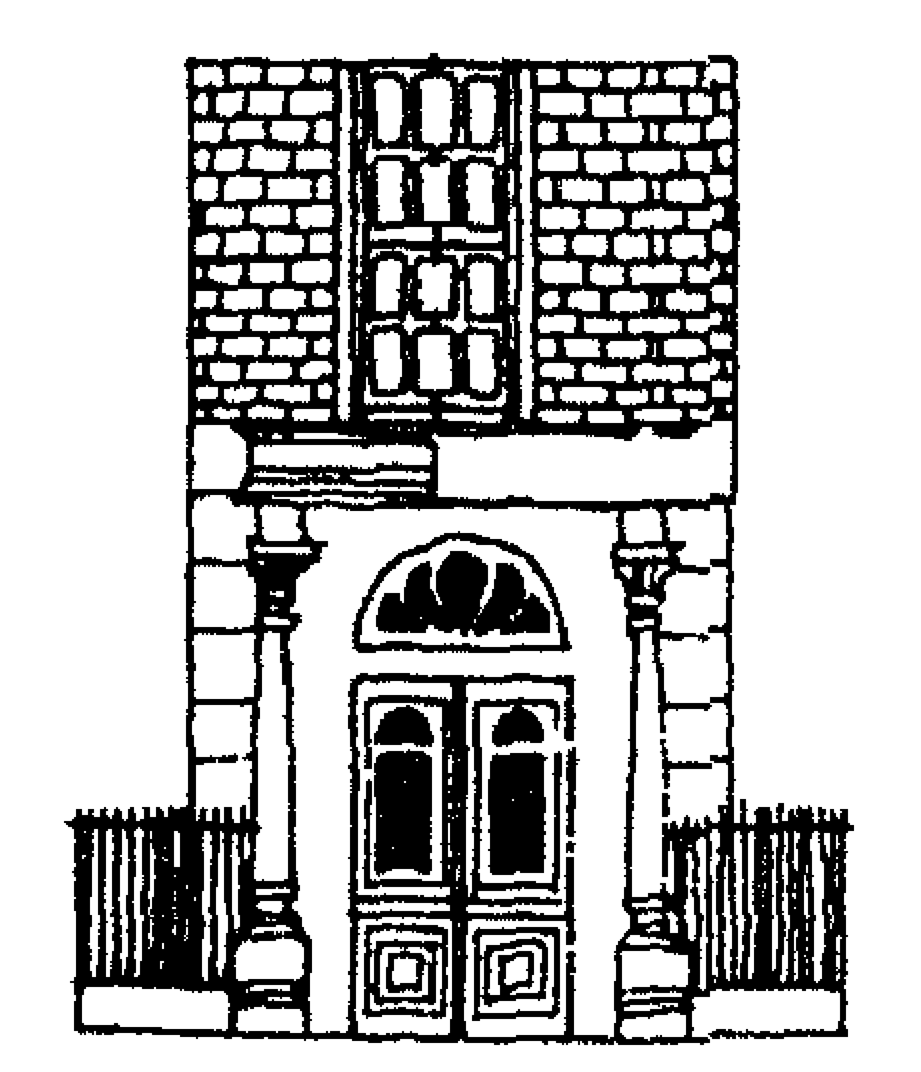
إخراج فني : م. نشوان خريط



حول العالم في ثمانين يوماً

الفصل الأول

حينما اتفق فيلياس فوغ ، وباسبارتو على أن يكون الأول سيداً ، والثاني خادماً له



سنة **1872** ، كان البيت رقم **7** من شارع سافيرو في لندن ، يسكنه فيلياس فوغ أحد أعضاء " نادي الإصلاح " البارزين ، وكان حريصاً على ألا يلفت إليه الأنظار .

وفيلياس فوغ هذا شخصية غامضة ، ولا يُعرف عنه سوى أنه رجل مهذب من الطبقة الإنكليزية الراقية ، ولعله لم يكن من أهل لندن أصلاً ، فلم يره أحد في البورصة أو في المصرف ، ولم يكن مالك سفينة ولا محامياً ولا عضواً في مجلس إحدى الإدارات ولا رجل صناعة ولا تاجراً ولا مزارعاً .

ولم يكن عضواً في إحدى الجمعيات الكثيرة المنتشرة في لندن كجمعية مكافحة الحشرات الضارة ، مثلاً ، وما هو إلا عضو في " نادي الإصلاح " وحسب .

هل كان غنياً ؟ هذا أكيد . وقد انتسب إلى " نادي الإصلاح " بتزكية من الإخوة بارينغ أصحاب المصرف الذي يتعامل معه ، ولا يعرف أحد مصدر ثروته . ولم يكن مبذراً ولكنه ليس بخيلاً أيضاً ، وهو يشارك في أعمال البر والإحسان حين يستطيع دون أن يعلن عن نفسه .

لم يكن وثيق الصلة بالناس ولا يتكلم إلا قليلاً وحياته واضحة شفافة ، ولكن هذا ما جعله رجلاً غامضاً أيضاً ، لأن الخيال يبحث عن شيء يتجاوز ما تبصره العيون .

هل تجول في البلاد ؟ هذا أكيد ، لأنه شديد الاطلاع على خريطة العالم ، ويعرف حتى الأماكن القاصية من الأرض . وكثيراً ما كان يصحح الأفكار التي يتداولها أعضاء النادي حول الرحالة الضائعين أو التائهين ، وذلك بآراء دقيقة صائبة كأنها النبوءات ، ولعله لم يسافر إلا في مخيلته وحسب ؟

مهما يكن الأمر ، فإنه لم يغادر لندن منذ زمن طويل ، ويقضي معظم وقته في القراءة ومطالعة الصحف .

لا يُعرف لفيلياس فوغ امرأة أو ولد أو حتى صديق ، ولم يدخل بيته أحد سوى خادم واحد يعتني به ويقوم على شؤونه ، وكان يتناول طعام الغداء والعشاء في النادي وحيداً ، ولا يبدل طاولته . ويعود إلى

بيته بانتظام منتصف الليل تماماً ، وكان يكفيه طعام نادي الإصلاح والتجوال في ردهاته .

أما بيته فهو مجهز بكل وسائل الراحة ، ولا تتطلب العناية به الشيء الكثير ، ولكنه يقتضي من خادمه دقة صارمة في المواعيد وطاعة تامة في تنفيذ الأوامر ، لذلك صرف من خدمته اليوم خادمه جيمس فورستر لأنه سخّن الماء الذي أعده لحلاقته إلى ثمانين درجة فرنهايت بدلاً من ست وثمانين درجة ، وهو ينتظر قدوم خادم آخر يخلفه ما بين الساعة الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف .

كان فيلياس فوغ جالساً في كرسيه ينظر في ساعة الحائط ، وهي آلة معقدة تعين الساعات والدقائق والثواني وتواريخ اليوم والفصل والسنة .

في تلك اللحظة قُرع الباب ودخل فورستر الخادم المصروف من الخدمة ، وقال : الخادم الجديد .

وظهر أمام الباب شاب في الثلاثين ، فألقى عليه التحية .



فسأله فيلياس فوغ : أنت فرنسي ، اسمك جون ؟

فأجابه الخادم الجديد : جان باسبارتو يا سيدي ، وهذا لقبي ، ومعناه " الزيبق " لأني أتخلص من المآزق الحرجة ، وأحسبني رجلاً أميناً ، وقد مارست عدة مهن ، فكنت مطرباً جوّالاً ولاعب سيرك ومدرّب رياضة ، وآخر مهنة لي إطفائي في مدينة باريس . وقد غادرت باريس منذ خمس سنوات ، وقدمت إلى إنكلترا باحثاً عن حياة مستقرة آمنة ، وعلمت أن السيد فيلياس فوغ مثال الدقة والنزاهة والالتزام في إنكلترا كلها ، فتقدمت إليك آملاً في حياة هادئة أنسى فيها لقب الزيبق .

فأجابه الرجل : الزيبق اسم يلائمني ، وقد استعلمت عنك ، وعرفت كل شيء ، فهل اطلعتَ على شروطي ؟

– نعم .. يا سيدي .

– حسناً .. كم الساعة معك ؟

– الحادية عشرة واثنتان وعشرون دقيقة .

قال باسبارتو هذا وجذب من جيبه ساعته الفضية الضخمة .

فقال فوغ : ساعتك تؤخر .

– عفواً يا سيدي ! هذا مستحيل .

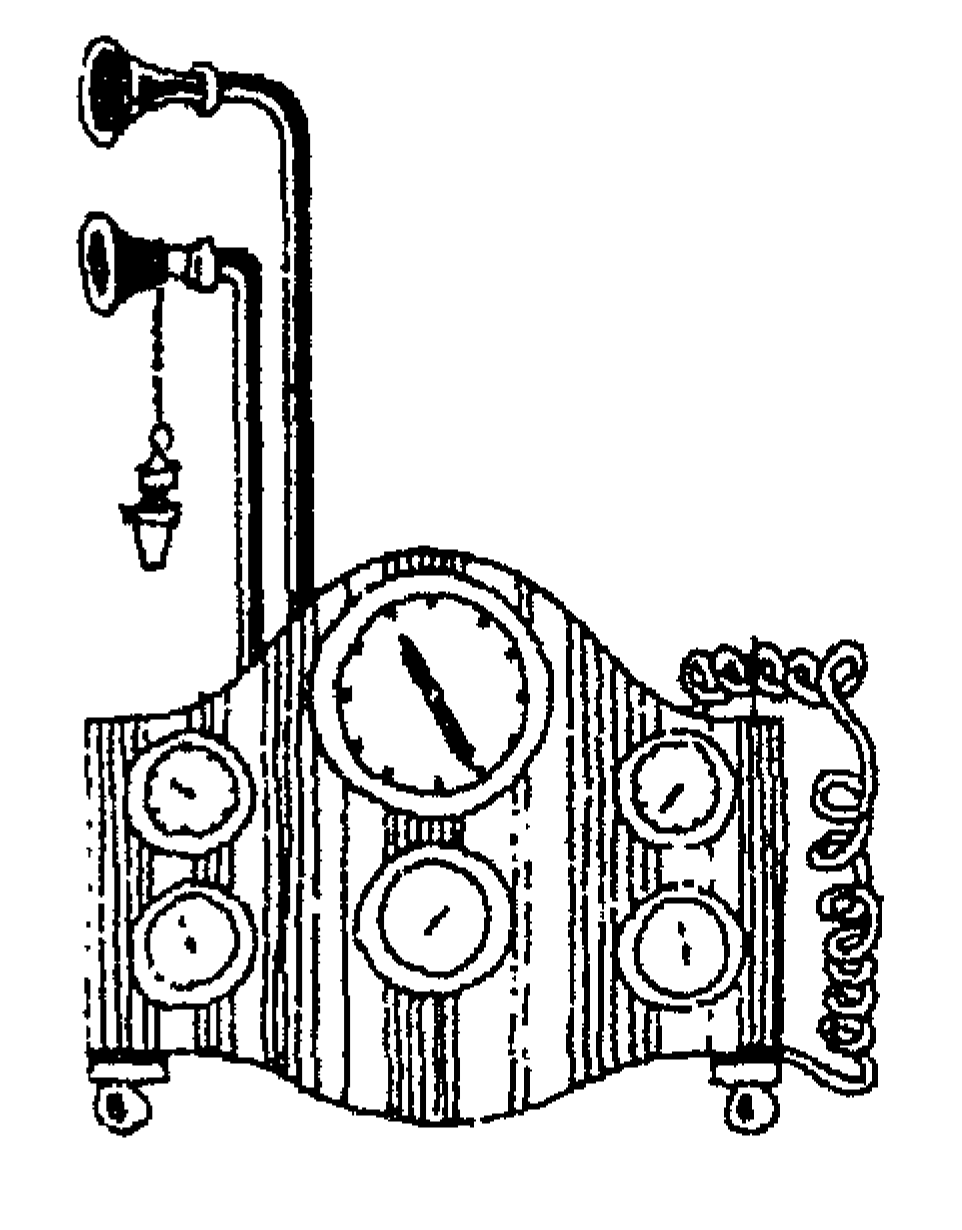
– ساعتك تؤخر أربع دقائق ، المهم أن تأخذ هذا الفارق باعتبارك ، أنت في خدمتي اعتباراً من الساعة الحادية عشرة وتسع وعشرين دقيقة من صباح يوم الأربعاء في اليوم الثاني من شهر تشرين الأول سنة 1872 .

ثم نهض وأمسك قبعته بيده اليسرى ، ووضعها على رأسه بحركة آلية وانصرف دون أن يضيف كلمة أخرى .

وبقي باسبارتو في البيت وحيداً .

الفصل الثاني

حينما تأكد باسبارتو أنه وجد مثله الأعلى أخيراً



قال باسبارتو لنفسه ، بعد أن أفاق من ذهوله : والله ، تبدو الحياة على سيدي كما تبدو على تمثال .

وقد تفحص الرجل جيداً فوجده من الذين يُطلَق عليهم صفة " طويل البال " . إذ لم يكن عجولاً في حركته ، وهو دقيق في مواعيده ، لا يبدّل مظهره الوقور .

لقد أمضى باسبارتو خمس سنوات في إنكلترا خادماً شخصياً ، ولم يجد سيداً يرتبط به ، وهو شاب شهم ، يسيل لعابه لتذوق متع الحياة ، بهي الطلعة ، لطيف المعشر ، عريض المنكبين ، قوي العضلات ، يمارس الرياضة منذ طفولته . فهل تنسجم شخصيته الحيوية مع شخصية فيلياس فوغ المتزمتة ؟

من السابق لأوانه القطع بشيء ، وإنما يبحث باسبارتو عن الطمأنينة . وقد كان سادته السابقون ، على العكس مما يشاع عن الإنكليز من برودة الطبع ، إما رحالة متجولين أو باحثين عن

المغامرات ، وكان يأمل أن يجد لدى فيلياس فوغ الحياة المنظمة التي يرجوها ، ويالفرحه إذ وجد هذا السيد الوقور !

بدأ يتفقد البيت بعد أن ظل وحيداً ، ففتشه من القبو إلى السقيفة ، ووجده نظيفاً مرتباً لا ينقصه شيء ، فأعجبه هذا ، وبدا له أنه قوقعة حلزون جيدة الطلاء حسنة الإضاءة .

ودخل غرفته الخاصة به في :لطابق الثاني فوجدها ملائمة له . يصلها بالطابق الأول جرس تنبيه كهربائي ، وفوق إفريز المدفأة ساعة كهربائية شبيهة بالساعة الموجودة في غرفة نوم فيلياس فوغ ، وتتطابق الساعتان بالدقيقة والثانية .

قال باسبارتو وهو يفرك كفيه : هذا يناسبني .

وجد فوق الساعة ورقة مسجلاً عليها البرنامج اليومي المفصل ، من الساعة الثامنة صباحاً ، إذ يستيقظ فيلياس فوغ حتى الساعة الحادية عشرة والنصف حين يغادر بيته إلى نادي الإصلاح ، وقد دوّن فيها كل شيء بالتفصيل ، من شاي الصباح في الساعة الثامنة وثلاث وعشرين دقيقة ، إلى ماء الحلاقة في الساعة التاسعة وسبع وثلاثين دقيقة .. إلخ .

وجد هذه التفاصيل التي تنظم حياة فيلياس فوغ المنهاجي من الساعة الحادية عشرة والنصف حتى منتصف الليل موعد نومه .

وابتهج باسبارتو بتأمل هذا البرنامج وحفظه عن ظهر قلب بكل بنوده .

أما خزانة ملابسه فكانت مثال الدقة والنظام ، إذ كتب على كل بدلة موعد دخولها وخروجها وتاريخ استعمالها ومناسبته ، كذا الحال بالنسبة إلى الأحذية .

ولم يكن في البيت سلاح ، أو أداة تتعلق بالصيد أو الحروب من قريب أو بعيد ،

فهو بيت مسالم ، ففرك باسبارتو ثانية وهو يردد فرحاً :

– سوف نتفاهم جيداً أنا والسيد فوغ ، إنه محب لبيته ، منظم كأنه آلة ميكانيكية ، وتسعدني خدمة هذه الآلة .

الفصل الثالث

حينما احتدم جدال قد يكلف فيلياس فوغ ثمناً باهظاً



بعد خمسمائة وخمس وسبعين خطوة ، وصل فيلياس فوغ إلى نادي الإصلاح ، فتوجه إلى قاعة الطعام حيث ينتظره كرسيه فيها ، وأنهى غداءه الساعة الثانية عشرة وسبعاً وأربعين دقيقة ، ثم انتقل إلى القاعة الكبرى المزينة باللوحات الثمينة ليبدأ مطالعة الصحف ، وحمل إليه الخادم جريدة (التايمز) فتناولها بيد مرنت على التعامل مع الصحف ، وانشغل بمطالعتها حتى الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة . ثم انتقل إلى جريدة (ستاندر) واستغرق في مطالعتها حتى موعد العشاء .

ولم يختلف عشاؤه عن غدائه كثيراً ، وفي الساعة السادسة إلا الثلث انصرف إلى مطالعة جريدة " مورننغ كورنيش " .

بعد نصف ساعة بدأ أعضاء نادي الإصلاح يتوافدون ، وتجمعوا حول نار المدفأة الكبيرة وهم من معارف السيد فيلياس فوغ ، ومعظمهم من رجال العلم والصناعة وأصحاب المصارف .

قال توماس فلانغن : أين وصلت قضية السرقة يا رالف ؟

وقال أندرو ستيوارت : لقد طارت أموال المصرف .

فاعترض رالف : على العكس ، سيقبض على اللص لأن مفتشي الشرطة يلاحقونه في موانئ أميركا وأوروبا ولن يفلت منهم .

وسأل ستيوارد : وهل تعرفون أوصاف السارق ؟

فأجاب رالف :

– إنه ليس سارقاً بمعنى الكلمة .

– كيف لا يكون سارقاً ؟ لقد اختلس خمسة وخمسين ألف جنيه ، هل هو من رجال الصناعة ؟

– تذكر جريدة (المورننغ كورنيش) أنه جنتلمان .

قال هذا فيلياس فوغ وقد برز رأسه وراء جريدته .

فحياه زملاؤه في الوقت نفسه .

كانت هذه القضية قد شغلت البلاد كلها خلال ثلاثة أيام . إذ سرقت رزم من الأوراق النقدية بقيمة خمسة وخمسين ألف جنيه من مكتب الصراف الرئيسي في بنك إنكلترا واعتُذِر للصراف بأنه كان مشغولاً بتسجيل إيصال مقبوض بقيمة ثلاثة شيلنات ولم ينتبه إلى السارق .

والشيء الذي أثار سخط الناس وغضبهم أن السارق هو من علّية القوم ، وقد زعزع الثقة الراسخة بين المصرف وزبائنه ، وسوف يضطر إلى استخدام الحرس والحواجز الحديدية ، ولم ينتبه الصراف إلى هذه السرقة إلا بعد أن أعلنت ساعة المصرف الخامسة موعد إغلاق الصندوق ، وكان قد فات الأوان لمعرفة السارق ، والمؤكد أنه ليس من هؤلاء اللصوص المحترفين المنتشرين في كل أنحاء العالم ، كما لاحظت جريدة المورننغ كونيش .

وقد توجهت الشكوك إلى " جنتلمان " لائق المظهر ، حسن التهذيب ، مهيب الهيئة ، كان أمام شبابيك القبض يوم الحادث ، ودونت مواصفاته ووزعت على كل مفتشي الشرطة في المملكة المتحدة . والرأي الشائع أن السارق لن يفلت من بين أيديهم ، ولم يشكّ السيد رالف بأن نتائج التحريات ستؤدي إلى القبض على السارق ، لأنه قد رصدت مكافأة قدرها ألفا جنيه وخمسة بالمائة من المبلغ المسروق لمن يسترد المبلغ أو يدل على السارق ، ولكن السيد ستيوارت خالف صاحبه الرأي ونشب بينهما جدال حول هذا الموضوع .

فقال ستيوارت : أظن أن الظروف في صالح السارق الذي يبدو رجلاً داهية .

فأجاب السيد رالف : ولكن أين يهرب وهو ملاحق في أقطار العالم كله ؟

قال ستيوارت : لا أدري .. ولكن بلاد الله واسعة .

فتدخل فيلياس فوغ وقال : كانت واسعة في الزمن القديم .

فدهش ستيوارت وقال :

– كيف في الزمن القديم ؟ هل نقصت مساحة الأرض مثلاً ؟

قال رالف :

– طبعاً ، لقد نقصت مساحة الأرض لأننا ندور حولها الآن بمدة أسرع عشر مرات مما كانت عليه منذ مائة عام ، وأنا أوافق السيد فوغ .. وهذا يجعل التحريات صعبة .

قال فوغ : ويجعل هروب السارق أسرع .

فاستأنف ستيوارت النقاش قائلاً : هذه طريقة غريبة في قياس مساحة الأرض ، إذا استطعنا الدوران حول الأرض خلال ثلاثة أشهر فمعنى ذلك ...

فقاطعه فيلياس فوغ : خلال ثمانين يوماً فقط .

وأيد كلامه جون مولفان قائلاً : خلال ثمانين يوماً منذ أن دشن الخط الحديدي الرابط بين روتال وألله آباد . وقد أجرت جريدة المورننغ كورنيش حساب هذه الرحلة كالتالي :

من لندن إلى قناة السويس (بحراً) 7 أيام .

من السويس إلى بومباي (بحراً) 13 يوماً .

من بومباي إلى كلكتا (بالقطار) 3 أيام .

من كلكتا إلى هونغ كونغ (بحراً) 13 يوماً .

من هونغ كونغ إلى يوكوهاما (بحراً) 6 أيام .

من يوكوهاما إلى سان فرانسيسكو (بحراً) 22 يوماً .

من سان فرانسيسكو إلى نيويورك (براً) 7 أيام .

من نيويورك إلى لندن (بحراً وبالقطار) 9 أيام .

المجموع 80 يوماً .

هتف ستيوارت : نعم في ثمانين يوماً . ولكن هل حسبتم حساب رداءة الطقس والأعاصير وغرق السفن ، وحوادث القطارات ... وسواها ؟

فقال فيلياس فوغ بهدوء : هذه الأحوال محسوبة كلها .

فقال ستيوارت : حتى إن انتزع الهنود السكك الحديدية ، أو هاجموا القطارات ، أو نهبوا المسافرين وسلخوا جلود رؤوسهم ؟

فأجاب فيلياس فوغ : كل هذا محسوب .

فقال ستيوارت :

– نظرياً أنت على صواب سيد فوغ ، ولكن عملياً ...

– عملياً كذلك ياسيد ستيوارت .

– أتمنى لو أراك تقوم بهذه الرحلة .

– أنا جاهز ، فلنسافر معاً .

فضحك ستيوارت وهو يقول : أعوذ بالله ! ولكني أراهن على ثمانين ألف جنيه بأن هذه الرحلة مستحيلة في مثل تلك الظروف .

قال فوغ : على العكس ، هي يسيرة التحقيق .

– حاول إذن .

– أنا مستعد .

– متى ؟

– الآن .. في الحال .

قال ستيوارت : هذا جنون .

فأجابه فوغ : أراهنك على ثمانين ألف جنيه .

قال ستيوارت : حين قلت أراهنك ، فأنا جاد في قولي .

– وأنا كذلك .

ثم التفت فوغ إلى زملائه وقال : لدي ثمانون ألف جنيه مودعة في مصرف الإخوة بارينغ ، أراهن عليها بطيب خاطر .

قال جون سولفان : ثمانون ألف جنيه ! قد تخسرها إذا حدث طارئ أخرك عن الوصول .

قال فوغ : لا يوجد شيء اسمه طارئ .

– ولكن مدة ثمانين يوماً هي الحد الأدنى .

– الحد الأدنى المحسوب رياضياً .

– هذه مزحة .

فاحتد فيلياس فوغ وقال : إن الرجل الإنكليزي لا يمزح حين يتعلق الأمر بالرهان . وأراهنكم على ثمانين ألف جنيه .. بأن أدور حول العالم في ثمانين يوماً أو أقل ، هل تقبلون الرهان ؟

فأجابه ستيوارت وفالنتن وفلانغن ورالف : لقد قبلنا الرهان .

قال فوغ : حسناً ... سوف أستقل قطار دوفر ، الذي يقلع الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة .

– هذا المساء ؟

– هذا المساء بالذات .

ثم بسط مفكرة أمامه وقال .

– اليوم الأربعاء 2 تشرين الأول وينبغي أن أعود إلى لندن في هذه القاعة من نادي الإصلاح يوم السبت 21 كانون الأول ، الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة مساءً . وإذا لم أفعل تحصلون على الثمانين ألف جنيه المودعة في مصرف الإخوة بارينغ حلالاً لكم ، وهذا شيك بالمبلغ .

20

وحُرِّر محضر بهذا الرهان ووقعه المعنيون به ، ولم يظهر التأثر على فيلياس فوغ ، فهو لم يقبل هذا الرهان ليربح المال ولم يخاطر بنصف ثروته إلا لأنه سينفق نصفها الآخر في إنجاز هذه المهمة الصعبة بل المستحيلة ، وأما خصومه فقد ظهرت الفرحة على وجوههم .

الفصل الرابع

حينما أدهش فيلياس فوغ خادمه باسبارتو



الساعة السابعة والثلث استأذن فيلياس فوغ زملاءه وغادر نادي الإصلاح ، والساعة السابعة وخمسين دقيقة فتح باب بيته ودخل .

وذهل باسبارتو لرؤية فيلياس فوغ مخالفاً قواعد الانضباط وعائداً في هذه الساعة ، وكان ينبغي له طبقاً للبرنامج المدون أن يعود منتصف الليل .

صعد فيلياس فوغ إلى غرفته ونادى :

– باسبارتو .

ولم يجبه باسبارتو لأن هذا النداء لا يمكن أن يوجه إليه في هذه الساعة .

فأعاد فيلياس فوغ نداءه : باسبارتو .

ولم يرفع صوته أعلى من المرة الأولى ، وصعد إليه باسبارتو .

فقال له فوغ : هذا ثاني نداء لك !

فأجابه باسبارتو وهو ينظر إلى ساعته : ولكننا لسنا في منتصف الليل .

فقال فوغ : أعرف ، ولست ألومك ، سنسافر خلال عشر دقائق إلى دوفر وكاليه .

فانتاب باسبارتو ذعر مفاجئ :

- هل يسافر سيدي ؟

- نعم . سنقوم بجولة حول العالم .

فتأمل باسبارتو سيده مذهولاً كمن انقطع عنه الهواء ، ثم نطق بصعوبة : جولة .. حول .. العالم ؟

فأجابه فيلياس فوغ : في ثمانين يوماً . لذلك يجب ألاّ نضيع لحظة واحدة .

فقال باسبارتو كالمرهق :

- والحقائب ؟

- لا حاجة لنا بها ، خذ حقيبة صغيرة وضع فيها قميصين من الصوف وثلاثة أزواج من الجوارب ولحافاً للرحلة وحذاء متيناً ، ولا نحتاج لغير هذا ، لأننا لن نمشي تقريباً .

- وأنا الذي كنت أبحث عن حياة مستقرة !

وأعدّ ما طلبه منه سيده دون تفكير . والساعة الثامنة رجع إلى فيلياس فوغ الذي كان مستعداً وقد تأبط كتيباً فيه مواعيد القطارات ،

ودليلاً عاماً يساعده على تحديد مسار رحلته ، وتناول الحقيبة من يد باسبارتو ووضع فيها رزمة كبيرة من الأوراق المالية ، وسأله :

– ألم تنس شيئاً ؟

– لاشيء .. يا سيدي .

– حسناً .. احمل الحقيبة وانتبه إليها لأن فيها عشرين ألف جنيه .

وكادت تسقط الحقيبة من يده .

الساعة الثامنة كان السيد وخادمه في محطة (شارينغ كروس) ، ودفع فيلياس فوغ لسائق العربة أجرته .



في تلك اللحظة اقتربت منه سائلةٌ تجر طفلاً بيدها ، مرتدية أسمالاً حافية القدمين وطلبت منه صدقة ، فأخرج من جيبه عشرين جنيهاً ربحها في لعب الورق وأعطاها للسائلة وقال :

– خذي أيتها البائسة ، إني مسرور بلقائك .

فترقرق الدمع في عيني باسبارتو ، فقد احتل سيده منــزلة عالية في قلبه .

في قاعة المحطة رأى فيلياس فوغ زملاءه الخمسة في نادي الإصلاح على حين كان باسبارتو يشتري بطاقتين من الدرجة الأولى إلى باريس ، فحياهم وقال لهم : أيها السادة ، إن التأشيرات على جواز سفري ستكون برهاناً على مسيرة رحلتي .

فأجابه رالف بلطف : هذا غير ضروري يا سيدي ، فنحن واثقون بأمانتك كجنتلمان .

فقال فيلياس فوغ : الأفضل القيام بالإجراءات حسب الأصول .

الساعة الثامنة وأربعين دقيقة ركب فيلياس فوغ وباسبارتو القطار ، وتحرك القطار الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة .. وكان باسبارتو الذي ما يزال مذهولاً يضم الحقيبة المملوءة بالنقود إلى صدره .

وفجأة .. أطلق باسبارتو صرخة يأس حقيقية فسأله فوغ :

– ماذا حدث ؟

– لقد نسيت في عجلتي إطفاء النور في غرفتي .

فأجابه فوغ بهدوء : سأحسمها من أجرتك .

الفصل الخامس

حينما راهن الناس على رحلة فيلياس فوغ



حينما غادر فيلياس فوغ لندن لم يفكر في صدى رحيله ، فقد أثار نبأ الرهان عاصفة من الدهشة في نادي الإصلاح ، ومن ثم نشره مراسلو الصحف إلى لندن وإلى المملكة المتحدة بأسرها .

وقد عمدت الصحف إلى تحليل قضية الجولة حول العالم ، وعلقت عليها باهتمام ، فوقفت ضد فيلياس فوغ جرائد التايمز وستاندر وإفننغ ستار والمورننغ كورنيش ، ولم تؤيده سوى جريدة الديلي ميل بتحفظ .

وبعد عدة أيام شككت هذه الجريدة في إمكانية إنجاز هذه الرحلة .

في السابع من تشرين الأول ظهرت مقالة مطولة في نشرة الجمعية الملكية الجغرافية تعالج المسألة من كافة جوانبها ، وانتهت إلى تأكيد استحالة كسب هذا الرهان ، إذ يكفي أن يتأخر المسافران مرة واحدة حتى تنكسر سلسلة مواعيد القطارات والسفن وينتج عنها تأخير لعدة أيام .



ولم يتبق لفيلياس فوغ سوى مناصر واحد ، هو اللورد الهرم ألبير مال المشلول منذ سنوات والذي كان مستعداً للتضحية بكل شيء لو استطاع القيام بجولة حول العالم حتى في عشر سنوات ، وقد راهن بخمسة آلاف جنيه لصالح فيلياس فوغ .

وتهاطلت المراهنات على نجاح هذه الرحلة أو فشلها ، لأن الإنكليز مولعون بالرهانات ، ولكن بعد أن هدأت عاصفة حماسة الأيام الأولى هبطت أسهم فيلياس فوغ ، فلم يعد يراهن عليه إلا بواحد مقبل مائة ، وبعد سبعة أيام من انطلاقه ، تلقى مدير شرطة لندن البرقية العاجلة المؤرخة في السويس وهذا مضمونها :

من السويس إلى لندن :

روان مدير الشرطة ، الإدارة المركزية ، سكوتلاند بلاس ، نلاحق سارق المصرف فيلياس فوغ ، أرسلوا عاجلاً مذكرة توقيف إلى بومباي (الهند الإنكليزية) .

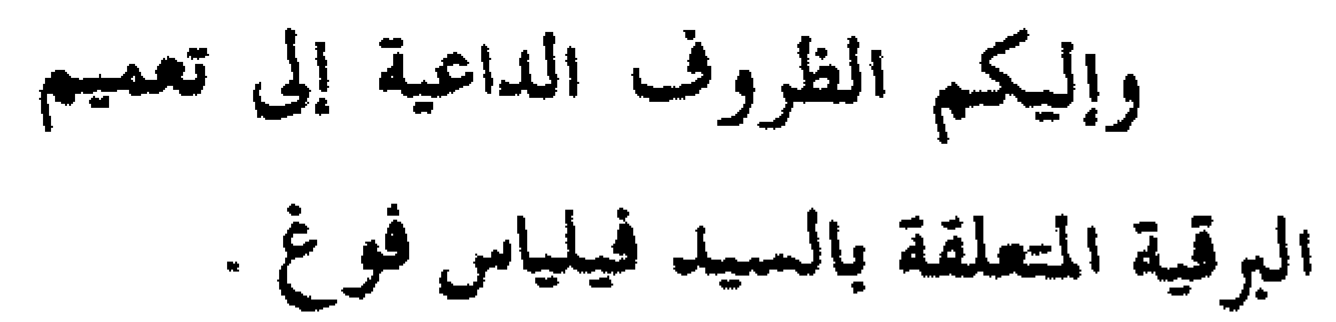
المخبر فيكس

وكان وقع هذه البرقية عظيماً ، فقد لوحظ أن صورة فيلياس فوغ تتطابق تماماً مع أوصاف سارق مصرف إنكلترا ، ولعل هذا تفسير حياة ذلك الجنتلمان الغامض ، وتفسير هذا الرهان المجنون ، ولم تكن هذه الرحلة السخيفة حول العالم إلا وسيلة لتضليل شرطة المملكة المتحدة .

الفصل السادس

حينما عبّر المفتش فيكس عن قلقه المشروع





وإليكم الظروف الداعية إلى تعميم البرقية المتعلقة بالسيد فيلياس فوغ .

يوم الأربعاء 9 تشرين الأول كان رجلان يتجولان على رصيف ميناء السويس ينتظران وصول السفينة (مونغوليا) التابعة للشركة الشرقية المسافرة ما بين برنديزي في إيطاليا وبومباي مروراً بقناة السويس .

أحد الرجلين من الهيئة القنصلية البريطانية في السويس والثاني رجل نحيف ، قصير القامة ، ذكي الملامح ، عصبي ، مقطب الحاجبين على الدوام ، وتلتمع عيناه تحت حاجبيه الكثيفين ، فصعد في تلك اللحظة الرصيف وقد وجدت عليه علائم نفاد الصبر ، هذا الرجل اسمه فيكس ، وهو أحد مفتشي الشرطة الإنكليزية الذين أُرسلوا في مهمة إلى مختلف موانئ العالم بعد سرقة مصرف إنكلترا ، وكان فيكس مكلفاً بمهمة مراقبة المسافرين على خط السويس ، وقد وصلته أوصاف المجرم

عن طريق رجال التحقيق في لندن ، وأثارت شهيته المكافأة التي رصدها المصرف للقبض على السارق ، فكان يتشوق لوصول الباخرة القادمة من أوروبا وهي (مونغوليا) .

قال له القنصل :

– قليلاً من الصبر يا سيد فيكس ، فقد أعلن عن وصول مونغوليا إلى بور سعيد البارحة ، وستصل إلى هنا بعد دقائق ، والذي يقلقني هو كيفية تعرفك على السارق لأن أوصافه تنطبق على أي شخص كان .

– يا سيدي القنصل ، هؤلاء الناس نستشعر وجودهم أكثر مما نتعرف إليهم ، إنها مسألة إحساس ، وإحساسي لا يخطئ ، فإذا كان السارق على متن الطائرة فلن يفلت مني .

– الأجدر بك ألا تخطئ ، لأن الأوصاف تنطبق على أي شخص شريف .

– هذا طبيعي لأن كبار اللصوص يتشبهون بكبار الأشراف ، والأجدر بالناس القباح وجوههم أن يظلوا شرفاء لأن الشبهات تدور حولهم قبل سواهم .

إنما ينبغي مراقبة الذين تلوح عليهم علائم الشرف والأمانة ، وهذا عمل شاق لا يتقنه إلا الخبراء ، إنه فن يا سيدي القنصل . وهكذا يتبين أن المدعو فيكس لا ينقصه الإعجاب بنفسه .

ودبت الحركة في الرصيف لقرب وصول السفينة ، وكان الجو بارداً لهبوب الريح الغربية ، ولكنه جو بديع ، وتوافد على الرصيف البحارة من مختلف الجنسيات والتجار والمقاولون والفلاحون ، وتراقصت على مياه البحر الأحمر عدة قوارب رشيقة الصنع مما توارثه أهل البلد عن أجدادهم .

وكان فيكس يحدق النظر في المارة بحكم العادة .

وسأل المخبر فجأة : كم من الزمن ستبقى (منغوليا) في السويس ؟

فأجابه القنصل :

– الوقت الكافي للتزود بالفحم قبل عبورها البحر الأحمر باتجاه بومباي .

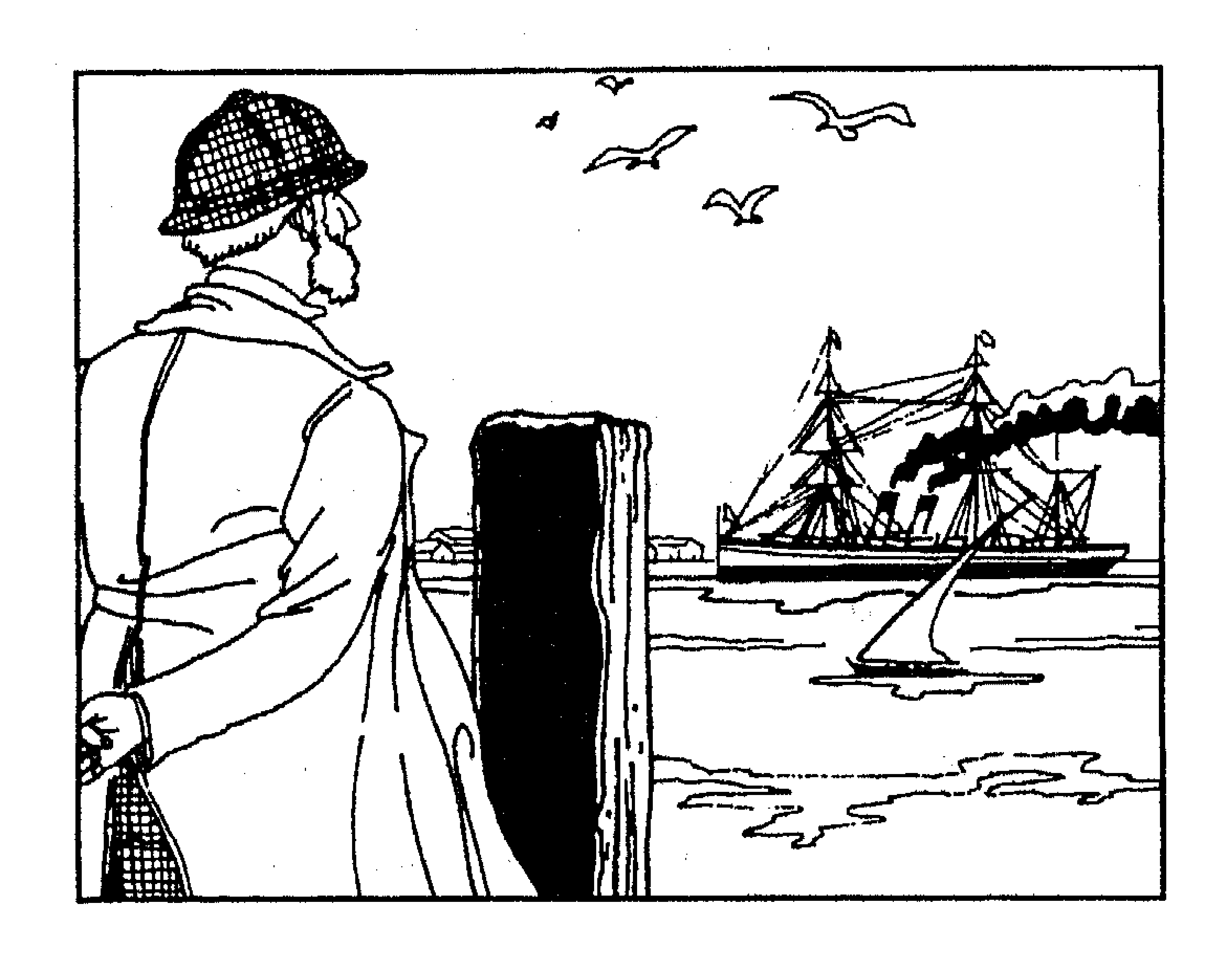
– ألا تتوقف منغوليا في عدن ؟

– تتوقف للتزود بالفحم فقط ، ولكنها تبحر مباشرة إلى بومباي .

– إذا كان اللص مبحراً على ظهر هذه السفينة فيكون من بين خططه النـــزول في السويس ليركب سفينة أخرى إلى المستعمرات الفرنسية أو الهولندية في آسية ، لأنه لن يكون بمأمن في الهند ، المستعمرة الإنكليزية .

فأجابه القنصل بهدوء : رأي فيه نظر ، لأن المجرم يجد مخبأ آمناً في لندن أكثر مما يجده في البلدان الأجنبية . وتركه القنصل يفكر بهذا الجواب ومضى إلى مكتبه القريب في الميناء .

وبقي فيكس في الميناء وحيداً وقد تملكه إحساس غريب بأن اللص على سطح السفينة ، فإذا أراد السفر إلى أمريكا ، فالأجدر به أن يمر بالهند ، لأن هذا الخط خاضع لمراقبة أقل من الخط الأطلسي .



وانتزعت صفارات السفينة فيكس من أفكاره .

وبدأت السفينة الضخمة تعبر القنال ، وأرست الساعة الحادية عشرة في ميناء السويس ، ونزل معظم المسافرين بالقوارب الصغيرة المحاذية للسفينة .

وكان فيكس يتفحص كل الركاب الذين نزلوا إلى اليابسة ، وتقدم إليه أحدهم وسأله بأدب عن مكاتب القنصلية البريطانية ، وأظهر له جواز سفره لأنه يريد أن يضع عليه ختم القنصلية .

فأمسك فيكس بجواز السفر ، ونظر في أوصاف حامله ، وكاد يسقط الجواز من يده لأن الأوصاف تنطبق على اللص بكل تفاصيلها . وقال للمسافر :

– هل هذا الجواز لك ؟

– إنه جواز سيدي الذي بقي على ظهر السفينة .

– ولكن عليه أن يأتي بنفسه للتحقق من شخصيته .

– هل هذا ضروري حقاً ؟ .

– لابد منه .

– سأطلب منه الحضور ، ولا أظنه سيسر لهذا الإزعاج .

وحيّا المسافر فيكس ورجع إلى السفينة .

الفصل السابع

وهو دليل على لا جدوى الجوازات لدى رجال الشرطة



انطلق فيكس مسرعاً إلى مكاتب القنصلية ، ودخل إلى القنصل وهو يقول دون مقدمات وبصوت مرتجف :

– سيدي القنصل ، لدي أسباب وجيهة تدل على أن اللص على متن السفينة (مونغوليا) .

وحكى للقنصل ما جرى بينه وبين الخادم بخصوص الجواز .

قال القنصل : أتمنى لو أرى وجه هذا اللص ، ولكنه قد يبقى على ظهر السفينة ، وأنت تعلم أن التأشيرة ليست إجبارية للمسافرين عن طريق الترانزيت .

فأجاب فيكس : إنه رجل واثق بنفسه كما أعتقد ولسوف يأتي ، وجواز سفره نظامي ، ولكن آمل ألا يمنح التأشيرة .

قال القنصل : إذا كان جواز سفره نظامياً فإني مضطر إلى منحه التأشيرة إلا إذا صدرت بحقه مذكرة توقيف أو أوامر من إنكلترا .

فاكتأب فيكس ، وسأل : أليس من وسيلة إلى احتجازه في القاهرة ؟

– لا يوجد إلا إذا صدرت مذكرة توقيف .. حينئذٍ .

في تلك اللحظة ، قرع الباب وأدخل الحاجب شخصين ، أحدهما الخادم الذي تكلم مع المفتش فيكس .

وقدم السيد جواز سفره وطلب من القنصل باحترام أن يضع عليه تأشيرته .

أما فيكس فكان واقفاً في زاوية المكتب يحدق إليه بنظرات ثاقبة ، وقرأ القنصل جواز السفر : حضرتك السيد فيلياس فوغ ؟

– نعم يا سيدي .

– وهذا الرجل خادمك ؟

– نعم ، فرنسي يدعى باسبارتو .

– وأنت قادم من لندن ؟

– نعم .

– وأين تتوجه ؟

– إلى بومباي .

– حسناً ، أنت تعلم أن هذه التأشيرة ليست إجبارية .

– أعلم ذلك ، ولكن أريد أن تؤكد التأشيرة عبوري بالسويس .

– كما تشاء يا سيد !

وختم له القنصل التأشيرة على جواز سفره ، ودفع فيلياس فوغ الرسوم ، وحيّاه ببرودة ، ثم خرج مثلما دخل .

وسأل القنصل : ما رأيك ؟

فقال فيكس : سيطمئن قلبي بعد قليل ، وهذا الفرنسي الذي يخدمه سيبوح لي بما أريد ، إلى اللقاء يا سيدي القنصل .



ورجع فيلياس فوغ إلى مونغوليا ودخل مقصورته وفتح مفكرة مكتوباً فيها الملاحظات التالية :

× مغادرة لندن ، الأربعاء 2 تشرين الأول ، الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة مساء .

× الوصول إلى باريس ، الخميس 3 تشرين الأول ، الساعة السابعة وعشرين دقيقة . صباحاً .

× مغادرة باريس عن طريق مونسنيس إلى تورينو ، الجمعة 4 تشرين الأول الساعة السادسة وخمساً وثلاثين دقيقة .

× مغادرة تورينو ، الجمعة الساعة السابعة وعشرين دقيقة صباحاً .

× الوصول إلى برنديزي ، السبت 5 تشرين الأول الساعة الرابعة مساء .

× السفر على سفينة مونغوليا السبت ، الساعة الخامسة مساء .

× الوصول إلى السويس الأربعاء 9 تشرين الأول ، الساعة الحادية عشرة صباحاً .

مجموع الساعات : 158 ساعة ونصف ما يعادل من الأيام 6 أيام ونصفاً .

كان فيلياس فوغ قد رسم مسيرة رحلته من 2 تشرين الأول إلى 21 كانون الأول على عمودين وزع عليهما الأيام وتواريخ الوصول المتوقعة وتواريخ الوصول الفعلية ، وبنظرة واحدة يستطيع معرفة الوقت المهدور والوقت المقتصد في كل رحلة ، وفي هذا اليوم 9 تشرين الأول لم يربح الوقت ولم يخسره ، فقد كان الوقت دقيقاً . هذا كل شيء .

تناول عشاءه في مقصورته ، ولم يفكر في زيارة المدينة لأنه من جنس الإنكليز الذين يوكلون إلى خدمهم مهمة زيارة البلاد التي يعبرونها .

الفصل الثامن

حينما تكلم باسبارتو أكثر مما ينبغي



بعد لحظات كان فيكس يحادث باسبارتو الذي كان يتسكع في البلدة وسأله :

– هل ختمت التأشيرة على الجواز ؟

– آه طبعاً ..

– وهل تتفرج على البلدة ؟

– نعم .. ولكننا نمضي مسرعين بحيث لا أصدق أننا في إفريقيا . تصور أني لم أر باريس مسقط رأسي إلا من الساعة السابعة والثلث صباحاً حتى الثامنة وأربعين دقيقة تحت المطر من خلال نوافذ عربة مسرعة ما بين محطة الشمال ومحطة ليون .

– أنتم مستعجلون إذن ؟

– لست مستعجلاً ولكنه سيدي .. آه .. تذكرت يجب أن أشتري قمصاناً وجوارب ، لقد سافرنا دون ملابس تقريباً .

– سآخذك إلى سوق البازار فتجد فيه كل ما تريد .

– هذا لطف منك يا سيدي .

وانطلق لسان باسبارتو أثناء الطريق .

– آمل ألا أفوت السفينة .

قال فيكس : لديك الوقت . إنها الثانية عشرة تقريباً .

قال باسبارتو ، وجذب ساعته الضخمة :

– الثانية عشرة ؟ بل هي التاسعة واثنتان وخمسون دقيقة .

– ساعتك تؤخر .

– تؤخر ؟ هذه ساعة العائلة وهي لا تؤخر سوى خمس دقائق كل سنة ، إنها ساعة ميقاتية تقريباً .

قال فيكس : أراك حافظت على توقيت لندن المتأخر ساعتين تقريباً عن توقيت السويس .

وهتف باسبارتو : لن ألمسها أبداً .. وماذا تهمني الشمس ، إنها هي على خطأ .

– لقد غادرتم لندن على عجلة فما هي وجهتكم ؟

– جولة حول العالم .

– حول العالم ؟

– تماماً .. في ثمانين يوماً .. سمعت هذا ولكني لا أصدقه فهذا لا يعقل ، لابد أن هناك شيئاً آخر .

– آه .. إن سيدك رجل غامض .. هل هو غني ؟

– يبدو عليه ذلك ، وهو لا يبخل بالمال على أي حال ، وقد وعد قبطان مونغوليا بمكافأة هامة إن وصل بومباي قبل الوقت المحدد .

– وهل هو على هذه الحال دائماً ؟

– وكيف أعرف فقد دخلت خدمته يوم سافرنا .

ويمكننا أن نتخيل تأثير هذه المحادثة على المفتش فيكس إذ أنّ كل ما سمعه يؤيد شكوكه : الغموض الذي يحيط بفيلياس فوغ ، وهذا المبلغ الضخم من المال ، وسفره المفاجئ .

وعزم على أمر ، فترك باسبارتو في البازار وأسرع عائداً إلى القنصلية .

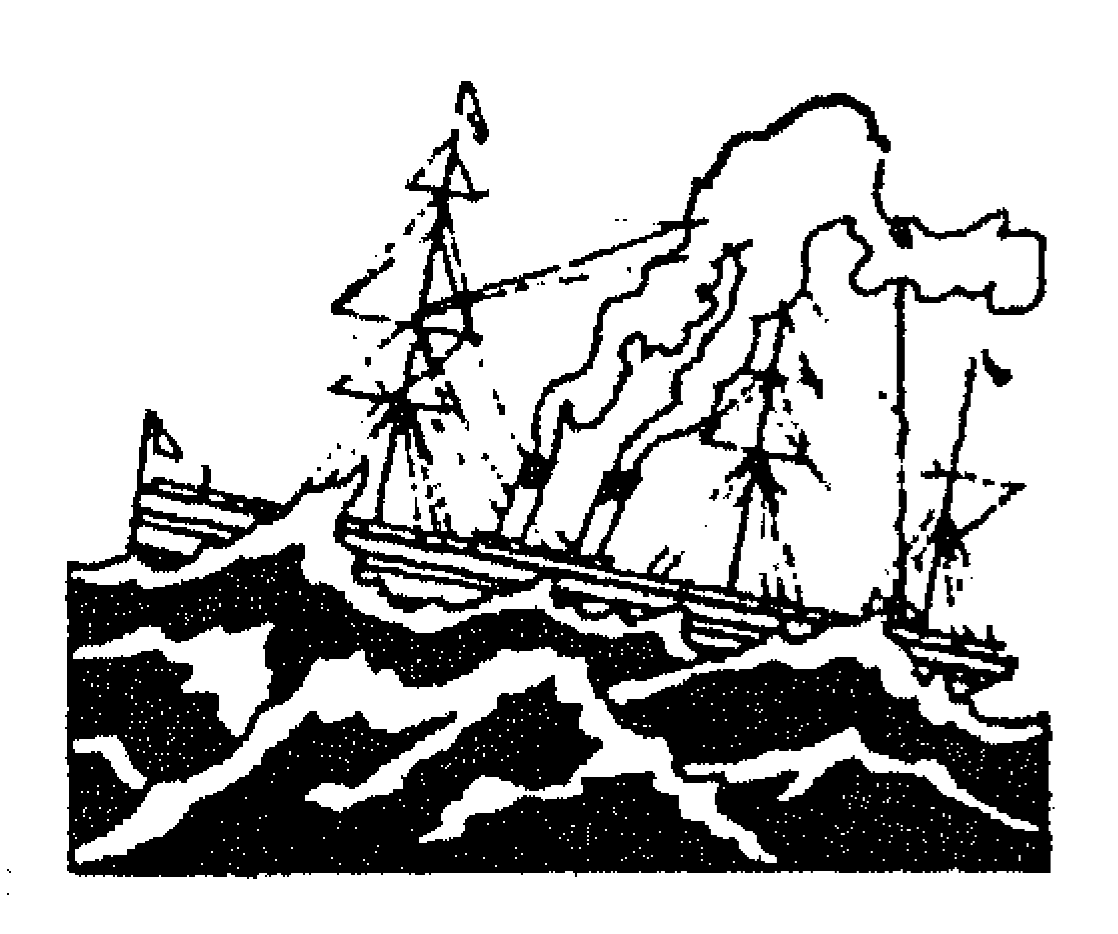
قال فيكس للقنصل : سيدي . لم يعد لدي أدنى شك ، لقد أمسكت به ، يتظاهر بأنه رجل غريب الأطوار ، يقوم بجولة حول العالم في ثمانين يوماً .

قال القنصل : ياله من شيطان .. لا ريب أنه سيعود إلى لندن بعد أن دوّخ كل شرطة الدنيا .

قال فيكس : سنرى هذا ، ولا أفهم إصراره على وضع تأشيرة السويس على جواز سفره ، هذه نقطة ستتوضح لنا ، وبانتظار ذلك ، أرجو أن تبرق إلى لندن لاستصدار مذكرة توقيف بحق فيلياس فوغ في بومباي ، وسأبحر معه على ظهر السفينة .

الفصل التاسع

حينما كان البحر الأحمر والمحيط الهندي ملائمين لخطط فيلياس فوغ



كانت السفينة (مونغوليا) تبحر بسرعة تتجاوز موعد وصولها النظامي . والمسافة بين السويس وعدن عشرة آلاف ميل ، والوقت يمر سريعاً على متن السفينة . وكان معظم الركاب موظفين أو ضباطاً يلتحقون بقطعاتهم العسكرية ، وبعضهم أبناء عائلات ثرية يملكون الملايين وقد سافروا ليؤسسوا شركات تجارية .

وكانت خدمات الشركة الناقلة جيدة ، إذ تقدم وجبات عامرة باللحم والفواكه والحلويات ، والموسيقا تطرب المسافرين ، وقد تقام حفلات رقص حين يكون البحر هادئاً ، لكن البحر الأحمر متقلب المزاج ، فقد بدأت الأمواج تتقاذف السفينة وهي منطلقة بقوة آلاتها البخارية نحو مضيق باب المندب .

ماذا كان يفعل فيلياس فوغ ، أثناء ذلك ؟ قد يُظن أنه قلق ، ولكنه لم يكن مبالياً بشيء ، سواء بالتأخير المحتمل للسفينة أو بالمناظر

الطبيعية التي تتوالى أمام ناظريه أو بالمدن المشهورة التي تترامى على ضفتي البحر الأحمر ، ولم يصبه دوار البحر الذي أصاب معظم الركاب .

ماذا كان يفعل إذن ؟



كان يلعب الورق مع مجموعة من المولعين باللعب مثله ، وهم : قس عائد إلى بومباي ، وجابي ضرائب في غوا ، وضابط إنكليزي يلتحق بقطعته في بيناريس ، هؤلاء الأربعة يلعبون الورق ساكتين ساعات طويلة .

أما باسبارتو الذي لم يصبه دوار البحر ، فقد بدأ يجد الرحلة ممتعة في مثل هذه الظروف ، وكم كان سروره عظيماً يوم **10** تشرين الأول حين التقى بذلك الرجل الذي كلمه في السويس ، فقال وهو يقترب منه :

– أظنك الرجل الذي دلني على البازار في مصر .

– أنا هو ، وأنت خادم ذلك الإنكليزي الغامض .

– مع من لي شرف الحديث ؟

– فيكس .

– تسرني رؤيتك . وإلى أين تتوجه ؟

– إلى بومباي .. مثلك .

– وهل سافرت إلى بومباي سابقاً ؟

– عدة مرات .. لأني موظف في شركة النقليات البحرية .

– فأنت تعرف الهند إذن ؟

– يعني .. قليلاً .

وغمغم فيكس جوابه ، لأنه لم يشأ التعمق في الحديث . وسأله باسبارتو :

– لا ريب أنها بلاد عجيبة ؟

– عجيبة جداً . ففيها المساجد والمآذن والمعابد والفقراء والنمور والثعابين .. سيكون لديك الوقت لزيارتها .

فقال باسبارتو : لا أظن .. وكنت أتمنى لو توقفت الرحلة في بومباي ، إذ لا يمكن لإنسان سليم العقل أن يقضي حياته متنقلاً من قطار إلى سفينة ومن بلد إلى آخر ، واعتقادي أن السباق سيتوقف في بومباي .

وسأله فيكس بلا مبالاة :

– وكيف حال السيد فوغ ؟

– ممتازة .. مثلي تماماً .. فأنا لا أحس بدوار البحر ، وآكل كالغول .. إنه هواء البحر لا ريب .

بعد هذه المحادثة استمرت لقاءات باسبارتو وفيكس ، وكانا يجلسان في المقصف يتناولان المشروبات معاً ويتحدثان في أمور كثيرة .

كانت (مونغوليا) تبحر بسرعة كبيرة . يوم 13 من الشهر ظهرت مدينة مخا اليمنية الشهيرة بآثارها القديمة ، فتأملها باسبارتو ، خاصة وأنه مولع بشرب القهوة .

اجتازت السفينة باب المندب أثناء الليل . ووصلت عدن في الغد ، فتزودت بالفحم الحجري ، إذ ما يزال أمامها ألف ومائة وخمسون ميلاً للوصول إلى بومباي ، واستغرق وقوفها هذا أربع ساعات، ولم ينـزعج فيلياس فوغ لهذا التأخير لأنه متوقع سلفاً ، هذا من جهة ، كما أن السفينة وصلت ، من جهة أخرى ، مساء الرابع عشر بدلاً من صباح الخامس عشر من تشرين الأول ، وبذلك ربح خمس عشرة ساعة .

هبط فيلياس فوغ إلى اليابسة ووضع التأشيرة على جواز سفره ، وبقي باسبارتو يتجول في المدينة .

الساعة السادسة مساء كانت (مونغوليا) متوجهة إلى المحيط الهندي ، وقد هبت ريح الغرب الشمالية رخاء ، وعلا الابتسام الوجوه ، واستمرت الرحلة في أفضل الظروف ، وظهر الساحل الهندي يوم 20 تشرين الأول ظهراً ، وبعد ساعتين أطلت أشجار النخيل برأسها من مدينة بومباي ، وأرست مونغوليا في الميناء الساعة الرابعة والنصف من 20 تشرين الثاني بدلاً من 22 تشرين الأول ، وبذلك اقتصد فيلياس فوغ يومين من الرحلة ما بين لندن وبومباي .

الفصل العاشر

حينما أحس باسبارتو بالسعادة لأنه نجا بنفسه وإن فَقَد حذاءه



وصل المسافرون إلى بومباي الساعة الرابعة والنصف مساء ، ولا ينطلق القطار إلى كلكتا إلا الساعة الثامنة .

ودّع السيد فوغ زملاءه في اللعب وغادر السفينة ، وطلب من باسبارتو قضاء بعض الأشغال ، وأوصاه ألا يتأخر عن الوصول إلى المحطة الساعة الثامنة ، ثم توجه بخطا ثابتة نحو مكتب الجوازات ، ولم يشغل نفسه بالفرجة على آثار المدينة ومعالمها التاريخية .

بعد خروجه من مكتب الجوازات توجه إلى المحطة مطمئناً وطلب وجبة عشاء .

من بين الأطباق التي قدمت إليه (أرنب الغابة) ، فتذوقه فيلياس فوغ ووجده غريب الطعم ، فنادى صاحب المطعم ودار بينهما الحوار التالي :

– هل هذا أرنب ؟

– نعم يا سيدي .. أرنب الغابة .

– وهل سمعت مُوَاءه وأنت تذبحه ؟

– وهل له مُوَاء ؟ أقسم لك يا سيدي أن ..

– لا تقسم ! .. وتذكر أن القطط كانت حيوانات مقدسة في الهند ، وكان ذلك عصرها الذهبي .

– عصر القطط الذهبي ؟

– وعصر المسافرين الذهبي أيضاً .

وأنهى فيلياس فوغ عشاءه ببطء .

أما المفتش فيكس فقد سارع إلى مدير شرطة بومباي يستفسر عن مذكرة التوقيف ، فلم تكن قد وصلت من لندن بعد ، ورفض مدير الشرطة توقيف السيد فيلياس فوغ ، فالقضية تتعلق بالشرطة المحلية المؤهلة وحدها بإصدار مذكرة توقيف ، وليس لديها أدلة اتهام ضده .

عزم فيكس في غمرة يأسه ألا يغيب فيلياس فوغ عن ناظريه أثناء مقامه في بومباي ، وظن أنه سيقيم فيها بعض الوقت مما يسمح بوصول مذكرة التوقيف .

وكان باسبارتو متأكداً أن الرحلة ستتوقف في بومباي ، ولكنه حين تلقى التعليمات من سيده ظَنَّ أن الرحلة ستنتهي في كلكتا على أبعد تقدير ، وساءل نفسه فيما إذا كان القدر قد شاء له أن يقوم بجولة حول العالم ، وهو الذي طالما منّى نفسه بحياة مستقرة آمنة .

وبعد أن اشترى بعض الثياب ، جعل يتجول في شوارع بومباي ، وكانت غاصة بالأوربيين من مختلف الجنسيات ، وبالفُرس بعماماتهم المدببة الطويلة ، والبارثيين بملابسهم السوداء . وعلم أنه يقام الآن أحد أعيادهم ولذلك غصت بهم الأسواق ، والبارثيون من أتباع (زرادشت) هم القوم الأكثر نشاطاً وثروة في بومباي ، ويملكون معظم المؤسسات التجارية ، وكان عيدهم كرنفالاً يرقصون أثناءه في الشوارع على قرع الطبول وأصوات المزامير ، وقد أرضى باسبارتر حسَّه الفني وفتح عينيه الواسعتين إعجاباً وطرباً .

بعد أن شاهد باسبارتو هذا الكرنفال توجه إلى زيارة معبد (ماليبار هيل) ، وأراد الدخول إليه ليتفرج على معالمه ، وكان يجهل شيئين : الأول أن بعض معابد الهند محرم دخولها على المسيحيين ، والثاني أن أتباع هذه العقيدة أنفسهم لا يدخلون المعابد إلا بعد خلع أحذيتهم ، وكانت الحكومة الإنكليزية تعاقب كل من يخالف هذه التقاليد المحلية .



دخل باسبارتو المعبد إذن سائحاً وهو غافل عما ارتكبه من آثام ، فلم يشعر إلا وثلاثة من الكهنة قد هجموا عليه ونزعوا حذاءه وأوسعوه ضرباً ، وهم يطلقون صرخات مريعة .

نهض الفرنسي من سقطته ، وانهال على مهاجميه لكماً وركلاً ، وتعثر الكهنة في ملابسهم الطويلة ، فانتهز الفرصة وانطلق يجري حتى ضلل ملاحقيه ، كانت الساعة الثامنة إلا خمس دقائق حين وصل باسبارتو إلى المحطة حافي القدمين وقد فَقَد قبعته وصرة الثياب التي اشتراها .

وكان فيكس في المحطة وقد عزم أن يرافق فيلياس فوغ حتى كلكتا أو أبعد منها إذا اقتضى الحال ، ولم يره باسبارتو إذ كان مختبئاً في ناحية من المحطة ، ولكن المفتش سمع تفاصيل مغامرته وهو يرويها لسيده .

قال فيلياس فوغ وهو يتخذ مقعده في القطار مخاطباً باسبارتو :

– آمل ألا يتكرر هذا أبداً .

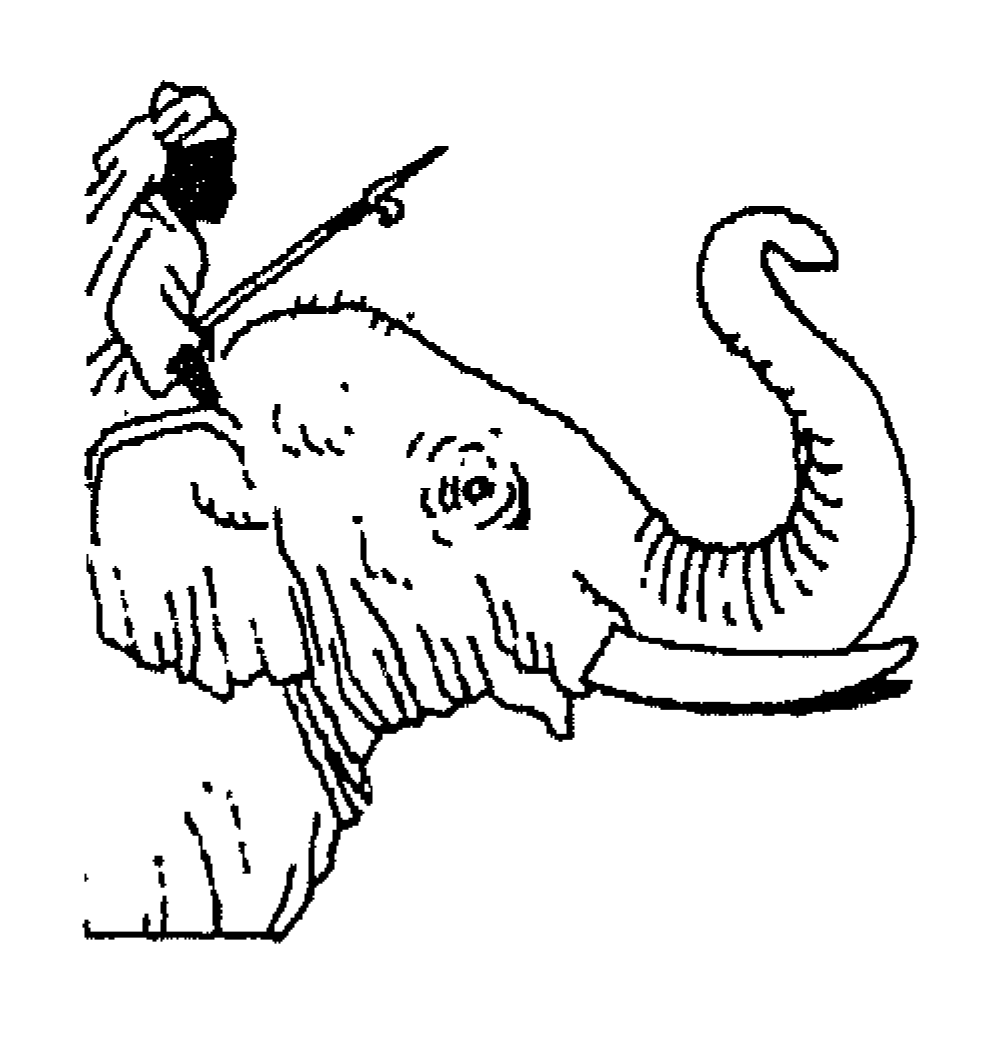
كان فيكس يهم بالصعود إلى القطار حينما خطرت له فكرة عبقرية منعته من ذلك ، وقال لنفسه :

– هذه جريمة ارتكبت في الإقليم الهندي .. سأبقى وأقبض على الرجل .

وظل واقفاً على الرصيف يراقب القطار متجهاً في ظلام الليل إلى كلكتا .

الفصل الحادي عشر

حينما اشترى فيلياس فوغ ركوبةً بغالي الثمن



انطلق القطار في الساعة المحددة ، وكان فيه عدد من الموظفين والتجار ، ووجد فيلياس فوغ في مقصورته أحد زملائه الذين كان يلاعبهم الورق على ظهر السفينة ، وهو الضابط السير فرنسيس كرومرتي الذي يلتحق بقطعته العسكرية المرابطة قرب بيناريس .

كان السير فرنسيس كرومرتي رجلاً طويل القامة أشقر الشعر ، في حوالي الخمسين من العمر ، وقد أقام في الهند منذ صباه ، وهو خبير بعادات الهند وتاريخها ونظامها الاجتماعي والسياسي . وقد عرض خدماته على السيد فيلياس فوغ فوجده غير مهتم بها .

عجب السير فرنسيس لهذا الجنتلمان المنطوي على نفسه الذي لا يطلب خدمة من أحد ، وتساءل عما إذا كان يملك قلباً ينبض مثل سائر البشر ، فهو لا يؤمن بغير الرياضيات والقوانين الميكانيكية ، ولا يلتفت إلى ما حوله من جمال الطبيعة أو عادات الناس وأخلاقهم ، ولم يصادف

في حياته شخصاً شبيهاً بهذا الرجل الذي أنتجته قوانين الرياضيات البحتة ، ولم يُخف عليه هدف رحلته .

قال له السير فرنسيس : أتدري أنك قد تواجه المتاعب بسبب مغامرة خادمك ؟

كان باسبارتو غارقاً في النوم بدون غطاء ، حافي القدمين ولا يعلم بأنهما يتحدثان عنه .

وتابع السير فرنسيس : إن الحكومة الإنكليزية صارمة في تطبيق القوانين المتعلقة بانتهاك حرمة المعابد الهندية ، فإذا قُبض على خادمك ..

ففاطعه فيلياس فوغ : إذا قُبض عليه فسوف يعود إلى أوروبا آمناً ، ولا أدري كيف ستؤخرني مغامرته هذه !

فتوقف السير فرنسيس عن الكلام فجأة .

أثناء الليل اجتاز القطار سلسلة جبال (الغات) ، وعَبَر (ناسيك) . ومن الغد 21 تشرين الأول كان يسير عبر منطقة (خنديش) ، وهي بلاد جميلة حسنة الزراعة عامرة بالمعابد والمساجد تسقيها عدة فروع من نهر (غودفري) .

نهض باسبارتو من نومه وتأمل حقول القهوة والقطن والقرنفل والتوابل ، ثم مرت أمام ناظريه أشجار النخيل تحيط بالمعابد الفخمة المزينة ، وتمتد وراءها غابات واسعة تسكنها النمور والفيلة البرية .

بعد مدينة (مالنوم) اجتاز القطار المناطق الكئيبة التي كانت قديماً مسرحاً للجرائم التي ارتكبها عبّاد الربة (كالي) ، وقد تجمع أتباع هذه الطائفة عصابات تهاجم الناس من كل الأعمار وتقدمهم ضحايا لربة الموت بعد أن تخنقهم ولا تريق دماءهم ، فلو فلحتَ في هذه الأرض لوجدت في كل متر منها جثة مدفونة ، وقد استطاعت الحكومة الإنكليزية كسر شوكة هذه العصابات ، ولكنها لم تقض عليها تماماً فهي ما تزال تعيث في الأرض فساداً .

توقف القطار الساعة الثانية عشرة والنصف في محطة (بورماهبور) ، واستطاع باسبارتو أن يشتري بثمن غال بابوجاً مزيناً باللآلئ الزائفة ، فلبسه وهو يشعر بالفخار .

لم يظل باسبارتو غريباً عن مشاريع سيده ، وبدأ يهتم بهذا الرهان الذي التزم به ، ويتساءل عن إمكانية الطواف حول العالم في ثمانين يوماً ، وكم أسف لهذه المغامرة التي قام بها في بومباي ، وكادت تتسبب في إفشال الرحلة كلها ! ولكنه كان أشد توفّزاً من سيده الجامد الأحاسيس ، وقد طلب منه أن يعرض على سائق القطار مكافأة مثل ما فعل مع قبطان السفينة (مونغوليا) ، ولم يدر هذا الغرّ أن ما هو ممكن في البحر غير وارد في البرّ ، حيث للقطارات مواعيد ثابتة لا تتأخر عنها .

من الغد ، 22 تشرين الأول ، سأله السير فرنسيس عن الساعة ، فقال إنها الثالثة صباحاً ، إذ أن ساعته العتيدة ما تزال مضبوطة على توقيت غرينتش المتأخر أربع ساعات عن التوقيت المحلي .

الساعة الثامنة صباحاً ، وعلى مسافة خمسة عشر ميلاً من محطة (روتال) ، توقف القطار فجأة وسط أرض خلاء تحيط بها بعض مساكن العمال وأكواخهم . ونزل سائق القطار وهو ينادي : لينــــزل الركاب هنا ! .

دهش فيلياس فوغ ، ونظر إلى السير فرنسيس الذي لم يعرف سبب هذا التوقف وسط غابة من أشجار التمر هندي .

وأما باسبارتو الذي لم يقلّ عنه دهشة فقد انطلق إلى خط السكك الحديدية ثم عاد وهو يهتف :

– لا توجد سكة يا سيدي !

وسأله السير فرنسيس :

– كيف هذا ؟

– انتهت السكة ، يا سيدي !



فنـزل فيلياس فوغ والسير فرنسيس من القطار . وسأل السير فرنسيس السائق :

– هل نتوقف هنا ؟

– نعم يا سيدي ! فالسكة الحديدية لم تنجز بعد .

– لا توجد سكة ؟

– لا يا سيدي ! ينقصها خمسون ميلاً ، ما بين هذه المحطة ومدينة الله أباد .

– ولكن الصحف أعلنت عن تدشين الخط بأكمله .

– الصحف على خطأ يا سيدي الضابط .

وصاح به الضابط غاضباً :

– وكيف تبيعون بطاقات من بومباي إلى كلكتا ؟ هذه مهزلة .

– ربما .. ولكن المسافرين كلهم يعلمون أن هناك مسافة من الطريق يقطعونها بوسائلهم الخاصة .

وكاد السير فرنسيس يرد عليه رداً قبيحاً لولا أن جذبه فيلياس فوغ من كُمّ سترته وقال :

– سير فرنسيس ! الأجدر بنا بدلاً من الهياج أن نبحث عن وسيلة للوصول إلى ألله أباد .

– ولكن هذا التأخير يلحق برحلتك ضرراً بالغاً .

– أبداً .. هذا أمر متوقع .

– كيف ؟ أنت على علم مسبق بأن السكة تتوقف هنا ؟

– لا .. ولكني توقعت أن أواجه بعض التأخير في الطريق ، ولدي يومان زيادة . وهناك سفينة تغادر كلكتا إلى هونغ كونغ يوم 26 ظهراً . واليوم هو 22 فلدينا وقت كاف للوصول إلى كلكتا في الوقت المحدد .

كان كلامه منطقياً ولا مجال للغضب إذن ! ولكن الوقت متأخر للبحث عن وسيلة نقل ، أما المسافرون الذين هم على علم مسبق بهذه المسافة يقطعونها بوسائلهم الخاصة فقد استحوذوا على كل وسائل النقل المتوفرة في (روتال) من عربات تجرها الثيران ومحفات .. وسواها .

قال فيلياس فوغ بكل بساطة : سأذهب ماشياً .

وتأمل باسبارتو بابوجه الجميل ، ولكنه غير المناسب للمشي ، وعلت وجهه كآبة ، وإنما لم يقف مكتوف اليدين ، فانطلق يبحث في الجوار ، ثم عاد يقول لسيده :

– هناك فيل يا سيدي ! يملكه هندي يسكن على مائة خطوة من هنا .

– لنر هذا الفيل إذن !

بعد خمس دقائق كانوا أمام فيل ضخم ، ولم يكن صاحبه يربيه لاستخدامه في حمل الأثقال ، بل لخوض المعارك بين الفيلة ، وذلك بأن يطعمه السكر والزبدة فقط ، فيغدو شرساً سيىء الطباع ، وهو ما يدعى بالهندية (موتش) ، ولكن الفيل – لحسن حظهم – لم يكن قد بدأ نظامه الغذائي إلا منذ أيام ، ولم يصل إلى مرحلة (الموتش) بعد .

لم يتردد فيلياس فوغ ، ووجد أن السفر على ظهر الفيل أو غيره سواء لديه ، وعزم على استخدامه ، وعرض على صاحبه استئجاره بعشرين جنيهاً في الساعة فرفض ، فعرض عليه أربعين جنيهاً فلم يقبل ، وكان باسبارتو يتلوى غيظاً وهو يرى صاحب الفيل يتحكم فيهم ويستغل حالتهم ، ولكن فيلياس فوغ لم يتزحزح عن قراره ، وعرض على الرجل شراء الفيل بألف جنيه ، فرفض الهندي عَرضه وقد احمرت أذناه .

انتحى السير فرنسيس بالسيد فوغ جانباً وقال له إن الثمن مرتفع جداً .

فقال له فوغ : هذا داخل ضمن المصروف العام ، ولا تنس أنه رهان على ثمانين ألف جنيه .

وعرض على الهندي ألفي جنيه ، وهذه صفقة لم يكن يحلم بها ، فقبل فوراً . ودفعها له فيلياس فوغ من حقيبة النقود ، فأحس باسبارتو كأنه يستلّها من أمعائه ؛ واستأجر فتى بارثياً ماهراً بقيادة الفيلة خبيراً بممرات الغابة ومسالكها .

ركب باسبارتو على عنق الفيل ووراءه الفتى البارثي ، وجلس السير فرنسيس والسيد فوغ في الهودج ، كل منهما في ناحية من خاصرة الفيل .

الفصل الثاني عشر

حينما جازف فيلياس فوغ ورفيقاه في اجتياز غابات الهند ، وما تبع ذلك



ترك المرشد البارثي ورشة السكة عن يمينه ، وقد عزم على اجتياز الغابة ليختصر الطريق بعشرين ميلاً ، وكانوا واثقين بخبرته .

صبر فيلياس فوغ والسير فرنسيس على هرولة الفيل السريعة وهما في الهودج ، وأما باسبارتو فكان يقفز لكل خطوة يخطوها الفيل بروح مرحة ، ومن حين إلى آخر يأخذ قطعة سكر ويناولها للفيل (كيوني) الذي يمسكها بخرطومه . فأصبحا صديقين .

بعد ساعتين أوقف المرشد الفيل وأراحه وتركه يبترد في بحيرة مجاورة ويرعى الأعشاب . ولم يَشْكُ السير فرنسيس من هذه الاستراحة ، إذ كان منهكاً على العكس من فيلياس فوغ الذي يبدو نشيطاً كأنما نهض من فراشه منذ لحظات .

قال الضابط لباسبارتو بشيء من الإعجاب :

– هذا رجل من حديد .

فأجابه باسبارتو وهو يعدّ وجبة سريعة مما اشتراه من مدينة خولبي
– بل من الحديد المسقيّ .

منتصف النهار أعطى المرشد إشارة الانطلاق ، وبعد اجتيازهم الغابة وصلوا إلى منطقة تنمو فيها أشجار التمر هندي والنخيل ، وتبعتها منطقة قاحلة مملوءة بالصخور والشجيرات الشوكية ، ويسكن هذا الجزء من هضبة (بندلكنت) جماعات متعصبة لشعائرها الهندوسية ، وكانوا يصادفون عصابات منهم ، ولكن المرشد يبذل جهده للابتعاد عنهم ، وكم ابتهج باسبارتو وهو يقلد حركات القرود التي تلاحقهم من شجرة إلى أخرى ! وإن ما شغل فكره ما سيفعله السيد فوغ بالفيل بعد وصولهم إلى ألله أباد . هل يبيعه ؟ هل يتركه حراً طليقاً ؟ أم يقدمه هدية إلى باسبارتو فلا يدري ما يفعل به ؟

الساعة الثامنة ، اجتاز الرحالة سلسلة جبال (الفندهاس) وبذلك يكونون قد قطعوا نصف المسافة ، وكان الليل قارساً ، فأقاموا في كوخ متداعٍ ، وأشعل البارثي ناراً من الأغصان اليابسة ، فالتفوا حولها وتناولوا وجبة خفيفة ، وناموا بعدها .



الساعة السادسة صباحاً ، استأنفوا سيرهم ، وكان باسبارتو قد رأى في نومه كوابيس مزعجة ، فنهض سيىء المزاج ، وأما الآخرون فقد ناموا جيداً . فالبارثي رجل اعتاد السفر على ظهر الفيل ، والسير فرنسيس رجل عسكري متمرس بالصعاب ، وأما السيد فوغ فلا يؤثر فيه شيء .

حينما انحدروا من الجبال أسرع (كيوني) في جريه ، وحوالي الظهر تجاوز المرشد قرية (كالنجر) الواقعة على أحد روافد نهر (الغانج) .

وكان يجتنب المناطق المأهولة قدر الإمكان . ويشعر بالأمان في الأرياف المهجورة ، وأصبحت أللّه أباد على مسافة خمسة وعشرين كيلو متراً إلى الشمال الشرقي .

حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر ، دخلوا غابة كثيفة حينما بدت على الفيل علائم القلق ، فسأل السير فرنسيس : ماذا حدث ؟

فقال البارثي وهو يتسمّع لغطاً خلال الغابة الكثيفة :

– لا أدري ، يا سيدي الضابط .

بعد دقائق ارتفعت أصوات أناس وطرقات أدوات نحاسية .

فهبط البارثي عن الفيل وربطه إلى الشجرة وذهب مستطلعاً ، وعاد بعد قليل : موكب البراهمة يمر من هنا ، والأفضل ألا يرونا .

وساق الفيل إلى دغلة كثيفة وطلب منهم أن يخفضوا أصواتهم .

وكان مستعداً للفرار بالفيل إذا ساءت الأمور ، ولكنه يأمل أن تحجبهم الدغلة الكثيفة عن الأنظار .

اقتربت منهم الضوضاء النحاسية ، وظهرت طليعة الموكب على خمسين متراً منهم ينقدمه الكهنة بملابسهم الطويلة المزركشة ، وتحيط بهم

النساء والأطفال والرجال ينشدون نشيداً جنائزياً ، تضبطه دقات الطبول ، ووراءهم عربة عريضة العجلات يجرها جاموسان مجلّلان ، وفوقها تمثال ذو أربع أذرع ، جسمه أحمر قان وعيناه واسعتان وشعره منسدل ولسانه ممدود فوق شفتين ملونتين بألوان زاهية ، وحول عنقه عقد من الجماجم ، ويلتف حول خصره زنار من الأيدي المقطوعة .

تمتم السير فرنسيس : الربّة كالي ، ربة الحب والموت .

وقال باسبارتو : ربة الموت نعم ، وأما الحب ..

وأشار إليه البارثي بالسكوت .

والتف حول تمثال الربة عدد من الفقراء النحاف أجسادهم والدم يسيل من جروح فيها على شكل صليب .

في نهاية هذا الموكب جماعة من البراهمة في ملابس قاتمة يجرّون امرأة متهالكة . كانت المرأة شابة بيضاء كالأوروبيين ، مثقلة بالخواتم والعقود والحلي من كل نوع ، ترتدي ثوباً مخططاً بخيوط الذهب ، مغطاة بقطعة من الموسلين الشفاف .

وراء هذه الطليعة فرقة من الحرس المسلحين شاهرين سيوفهم ، ويحملون فوق محفة جثة رجل هرم بملابس المهراجا ، وعمامته مزينة بالجواهر واللآلئ ، وحوله أسلحته كأمير هندي .

وتتبع هذا كله فرقة موسيقية ، وعامة الناس يصرخون ويولولون ، حتى غطت أصواتهم دقات الطبول .

راقب السير فرنسيس هذا الموكب بعين حزينة ، ثم التفت إلى البارثي وسأله : أهذا (سوتي) ؟

فوضع إصبعه على شفتيه وهزّ رأسه بالموافقة .

ومر الموكب منسرباً بين الأشجار ، ثم اختفى داخل الغابة ، وسأل فيلياس فوغ عن معنى كلمة (سوتي) فقال الضابط :

– هذه أضحية بشرية ، ولكنها أضحية طوعية ، وسوف تحرق هذه المرأة مع زوجها غداً وقت طلوع الفجر .

فقال باسبارتو : المتوحشون !

وسأل فيلياس فوغ : ومن زوجها ؟

فقال المرشد : مهراجا من (بندلكنت) ، ولكن التضحية ليست طوعية .

– وكيف عرفت هذا ؟

قال البارثي الشاب : هذه حكاية شاعت في أنحاء (بندلكنت) كلها ، وتلك الفتاة المشهورة بجمالها ابنة تاجر في بومباي ، وقد رُبيت تربية إنكليزية ، ثم مات والدها ، فزوّجها أهلها إلى مهراجا المنطقة الشيخ ، ثم توفي عنها بعد ثلاثة أشهر من زواجهما ، فهربت لكي تجتنب

مصير الأرامل الهنديات ، لكن أقارب المهراجا الذين يفيدهم موتها قبضوا عليها ولسوف تحرق غداً .

قال السير فرنسيس :

– لا تبدو أنها تقاومهم .

– لأنهم خدروها .

– وأين يأخذونها ؟

– إلى مسافة ميلين من هنا إلى (بيلاجي) ، وسوف تقضي الليلة ثم تحرق شروق الشمس .

قال المرشد هذه الكلمات وأخرج الفيل من الدغلة ، ولكن فيلياس فوغ استوقفه وقال للسير فرنسيس : ما رأيك أن ننقذ هذه المرأة ؟

فدهش الضابط وصرخ :

– ننقذ المرأة ؟

– لدي اثنتا عشرة ساعة زيادة ، فأخصصها لذلك .

– هل أنت إنسان عاطفي ، يا سيدي ؟

فأجاب فيلياس فوغ :

– بعض الأحيان .. حينما يكون لدي وقت .

الفصل الثالث عشر

حينما يبرهن باسبارتو على أن الحظ يبتسم للشجعان



الفكرة جريئة وإن كانت مستحيلة ، ولكن فيلياس فوغ حظي بتأييد السير فرنسيس ، وحماسة باسبارتو ، أما المرشد فقد طرح عليه الضابط القضية بصراحة فأجاب :

- إني بارثي مثلها ومستعد للموت .. ولكن اعلموا أننا قد نجازف بأرواحنا ، وإذا لم نقتل تعرضنا للتعذيب الشديد .

- لا يهم . ولكن علينا انتظار الليل لكي نتحرك .

- هذا رأيي أيضاً .

اقتربوا من القرية (بيلاجي) قدر المستطاع ، ثم توقف بهم الفيل بعد نصف ساعة تحت دغلة على مسافة مئات من الأمتار عن المعبد ، وكانت دمدمات المتعبدين تصلهم وكأنهم عقدوا مجلساً .

كان المرشد يعرف المعبد جيداً ، ولكنه لا يستطيع أن يقرر الآن ما إن كان الأسلم أن يدخلوا من الباب حينما يؤثر المخدّر في المتعبدين أو يثقبوا الجدار .

فانتظروا هبوط الظلام ، ثم أنصتوا حتى هدأت دمدمات الفقراء بعد أن ملؤوا رؤوسهم من المخدر ، وقادهم المرشد إلى نهر صغير أقيمت بجانبه منصة تراكم فيها خشب الصندل الثمين لتحرق الفتاة عليها ، وأشار إليهم بالتقدم والصمت مخيم على كل شيء ، ولا يُسمع سوى صوت الريح تداعب الأشجار ، فرأوا في باحة بين الأشجار أفراد الموكب جميعاً وقد انتثروا هنا وهناك كما في ساحة معركة ، وقد نوّمتهم المخدرات ، وشاهدوا من بعيد معبد (بيلاجي) وكم كانت خيبة أملهم عظيمة وهم يرون أربعة حراس واقفين على الأبواب وقد شهروا سيوفهم ، ولعل الكهنة مستعدون مثلهم في الداخل ، فتراجع الجميع وقد تأكدوا من استحالة اقتحام المعبد ، وقال لهم الضابط :

– الساعة لم تبلغ الثامنة بعد ، ولعلهم ينامون .

قال البارثي : هذا ممكن .

وانتظروا ، ومر الوقت بطيئاً ، ومن حين إلى آخر كان البارثي يلقي عليهم نظرة ، وانتصف الليل وحالة الحراس لم تتغير ، فتأكد له أنهم لم يتناولوا المخدر . فاقتحام الباب مستحيل إذن ، ولم يبق أمامهم

سوى ثقب حائط المعبد ، فقاموا بدورة طويلة للوصول إلى الجانب الخلفي من المعبد .

بدؤوا الحفر الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً دون أن يلفتوا إليهم الأنظار ، ولكن الحائط متين البنيان وليس معهم سوى السكاكين ، وقد حالفهم الحظ إذ أن جدران المعبد مبنية من القرميد والخشب ، ويكفي أن ينخلع حجر واحد حتى ينهار الجدار كله ، فتابعوا عملهم ساكتين حتى فتحوا ثقباً في الجدار بطول قدمين ، وفجأة ارتفع النداء وجاوبته الأصوات من كل جانب ، فهربوا إلى الدغلة ليروا ما يكون ، فجاء عدد من الحراس ووقفوا فوق سطح المعبد . فاستحال على المهاجمين فعل أي شيء .

واشتد بهم الغيظ إلا فيلياس فوغ فقد ظل هادئاً لا يعبّر عن خلجات نفسه . فقال البارثي : لم يبق علينا سوى الرحيل .

وقال فوغ :

– انتظروا ! يكفيني أن أكون في أللّه أباد غداً قبل الظهر .

وسأله الضابط :

– ماذا تريد أن تفعل ؟

– من يدري ؟ قد يبتسم لنا الحظ في اللحظة الأخيرة .

وحدق الضابط في عيني فيلياس فوغ يسبر أغوار فكره ، فماذا يريد ؟ هل يقوم باختطاف الفتاة أثناء إحراقها ؟

كانت هذه الفكرة قد مرت بخاطر ياسبارتو كخطف البرق ، ولكنها تحولت إلى فكرة ثابتة في رأسه بعد قليل ، وقال لنفسه :

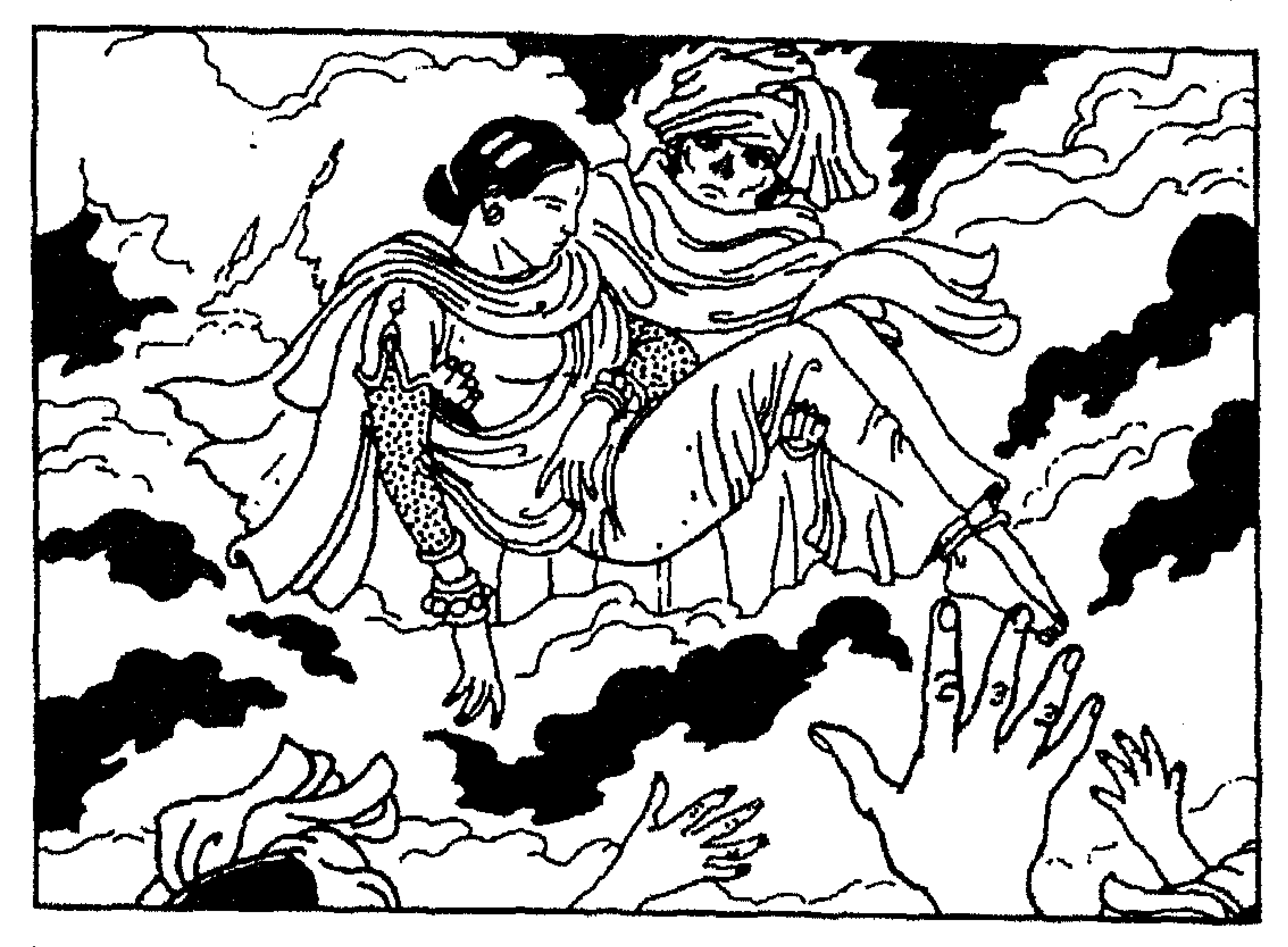
– وما المانع ؟ .

وكان جالساً فوق غصن شجرة فانحدر عنه بليونة الثعبان .

مرت الساعات ونقصت حلكة الظلام وكأنما نُفخ في الصور ، فنهض النائمون جميعاً وارتفعت أصوات النشيد وقرع الطبول إذ اقتربت ساعة الأضحية .

فتحت أبواب المعبد على مصراعيها ، ورأى فيلياس فوغ ورفاقُه الكهنةَ قد خرجوا وهم يجرّون الفتاة في الملابس البيضاء وكانت تقاومهم .

فاشتد الغيظ بالسير فرنسيس وأمسك بيد فيلياس فوغ ، فإذا هي قابضة على سكين بحارة كبير .



وتحرك الموكب ، واستسلمت الأرملة الشابة لقدرها ولم تعد تقاوم ، ومرت بين رجال الدين والفقراء ، فالتحق فيلياس ورفاقه بالصفوف الأخيرة ودون أن يلحظهم أحد .

وأصبحوا بعد دقيقتين على مقربة من المحرقة ، وقد استلقت الفتاة جامدة بجانب جثة زوجها .

قرّب أحد الكهنة مشعلاً من كومة الحطب المبللة بالزيت فالتهبت فوراً ، واندفع فيلياس فوغ نحو المحرقة في لحظة تهور جنونية ، فأمسك به السير فرنسيس يمنعه ، ولكن ارتفعت صرخات الذعر وراءهما ورأوا مشهداً عجباً .. إذ نهض الأمير الهندي من رقدته كالشبح حاملاً الفتاة .

ونزل عن المحرقة وسط سحب الدخان وذعر الفقراء والحراس والكهنة ، فارتموا بوجوههم إلى التراب ، وذهل فيلياس فوغ وأصحابه وهم يرون هذا الأمير الهندي العائد من الجحيم ، يقترب منهم ويقول لهم بصوت حازم : اهربوا !

إنه باسبارتو الشجاع ، لقد تسلل في حلكة الليل وأخذ مكان الميت ، ولبس ثيابه واخترق الصفوف حاملاً الفتاة معه .

بسرعة البرق وصلوا إلى الفيل فامتطوه ، وهرول بهم مبتعداً عن المكان ، ولكن أصوات الوعيد ونداءات الاستغاثة وعدة رصاصات اخترقت قبعة فيلياس فوغ بينت لهم أن حيلتهم قد انكشفت ، ولكنهم ابتعدوا هاربين عن مرمى الرصاص .

الفصل الرابع عشر

حينما انحدر فيلياس فوغ على طول وادي نهر الغانج ، دون أن يفكر في النظر إليه



مرت ساعة على ذلك وباسبارتو لا يتوقف عن الضحك ابتهاجاً بما حققه من نصر ، وشد السير فرنسيس على يديه مهنئاً ، وقال له فيلياس فوغ كلمة واحدة : أحسنت !

وهي تعني لدى هذا الرجل أسمى آيات المديح ، ونظر البارثي إلى باسبارتو بإعجاب ، أما الهندية الحسناء فقد أركبوها الهودج وغطوها بملاءات السفر .

انطلق البارثي بفيله عبر الغابات التي ما تزال غارقة في الظلام ، حتى وصلوا سهلاً فسيحاً فتوقفوا فيه . وتساءل السير فرنسيس عن مصير هذه الفتاة . ووجد أن أسلم حل لها مغادرتها الهند كلها ، وإلا وقعت بين أيدي أعدائها على الرغم من الشرطة البريطانية ، ووافقه فيلياس فوغ على رأيه ، وحوالي العاشرة أعلن لهم المرشد البارثي أنهم

وصلوا ألله أباد ، وهكذا يستطيع فيلياس فوغ أن يستقل القطار ليصل إلى كلكتا يوم 25 تشرين الأول ظهراً ويركب السفينة إلى هونغ كونغ.

نُقلت الفتاة إلى غرفة في المحطة ، وتكفل باسبارتو بشراء ما تحتاجه من ثياب ، ولم يبخل عليه فيلياس فوغ بالمال ، فاختار لها أفخر الثياب ، وبدأت الفتاة تعود إلى رشدها وتدرك ما حدث لها .

كان القطار على وشك مغادرة ألله أباد ، والبارثي ينتظر من فيلياس فوغ أن يدفع له أجرته ، فحاسبه الرجل حسب الاتفاق ، فدهش باسبارتو من تقتير سيده ، إذ أن الشاب قد جازف بحياته لإنقاذ الفتاة ، ولو علم الهندوس أنه شارك في عملية الاختطاف لقتلوه .

وظلت مسألة الفيل (كيوني) ، فماذا سيفعل به فيلياس فوغ ؟ ولكنه كان قد اتخذ بشأنه قراراً .



فقال مخاطباً البارثي : لقد كنت مثال الجد في الخدمة والإخلاص في العمل ، وقد دفعت لك ثمن عملك ولم أدفع لك ثمن إخلاصك ، هل تريد هذا الفيل ؟ هو لك .

فالتمعت عينا الفتى :

– هذه ثروة تمنحها لي يا سيدي .

– اقبله مني ، فأنا ما أزال مديناً لك .

بعد لحظات كان القطار ينطلق مسرعاً وعلى متنه المسافرون الأربعة نحو بيناريس . وعادت الفتاة أثناء ذلك إلى رشدها تماماً ، فأدهشها أن تجد نفسها في مقصورة القطار ، مرتدية الملابس الأوروبية بين جماعة من الغرباء .

وحكى لها الضابط عن جرأة فيلياس فوغ وإصراره على إنقاذها وعن دهاء باسبارتو الذي تفتق ذهنه عن هذه الحيلة .

وشكرت لهم الفتاة ما قاموا به من أفعال تدل على شهامتهم ، وكانت دموعها أبلغ تعبير عن عرفانها بالجميل .

وجلست تتأمل المناظر الطبيعية من النافذة وهي شاردة الفكر ، فاقترح عليها فيلياس فوغ أن ترافقه إلى هونغ كونغ ، حيث يمكنها البقاء هناك حتى تجد حلاً لقضيتها ، وقبلت اقتراحه مسرورة ، خاصة وأن أحد أقاربها من أغنياء التجار يقيم في هذه المستعمرة الإنكليزية .

توقف القطار الساعة الثانية عشرة والنصف في بيناريس حيث نزل السير فرنسيس كرومرتي ، وودع الجميع متمنياً لفيلياس فوغ التوفيق في رحلته .

ابتداء من بيناريس يتبع الخط الحديدي وادي الغانج ، وتتابعت أمام المسافرين مناظر الحقول المزروعة بالشعير والذرة والبحيرات تسبح فيها التماسيح والغابات الشاسعة الخضراء .

وعلى الرغم من الطقس البارد كان الحجاج الهندوس يسبحون في نهر الغانج يؤدون طقوسهم الدينية .

وصلوا الساعة السابعة صباحاً إلى كلكتا قبل خمس ساعات من انطلاق السفينة . وكان اليوم 25 تشرين الأول ، وقد أضاع فيلياس فوغ اليومين اللذين اقتصدهما ما بين لندن وبومباي ، ولكنه وصل كلكتا في الوقت المحدد لرحلته .

ونستطيع القول إن هذا الجنتلمان الإنكليزي لم يكن نادماً على خسارته الثماني والأربعين ساعة من الوقت .

الفصل الخامس عشر

حينما نقصت من حقيبة النقود بضعة آلاف من الجنيهات



توقف القطار في المحطة ونزل باسبارتو إلى الرصيف يتبعه فيلياس فوغ الذي ساعد الفتاة على النــزول ، وكان عازماً على التوجه إلى السفينة مباشرة لكي تستريح الفتاة فيها ؛ ولكنه حين خرج من المحطة اقترب منه شرطي وسأله :

– هل أنت فيلياس فوغ ؟

– نعم .

– وهذا الرجل خادمك ؟

– نعم .

– تفضلا معي ، إذن !

ولم يفعل فيلياس فوغ شيئاً للتخلص من الشرطي ، إذ أنه ممثل القانون ، والقانون لدى الإنكليز فوق الجميع .

أما الفرنسي باسبارتو فحاول التخلص منه ، ولكن الشرطي أمسك بيده ، فأشار إليه فيلياس فوغ بالانصياع ، وسأل الشرطيَ :

- هل تستطيع هذه السيدة مرافقتنا ؟

- نعم ، تستطيع .

ساقهم الشرطي إلى عربة يجرها حصانان ، فاخترقت بهم الأحياء الفقيرة ، ثم وصلت إلى الأحياء الأوروبية الغنية وبيوتها الفخمة ، واستمرت الرحلة عشرين دقيقة ، ثم وقفت العربة أمام مبنى إداري ، ومضى بهم إلى زنزانة دعمت نوافذها بقضبان حديدية ، فقال :

- ستَمْثلون أمام القاضي (أوباديا) الساعة الثامنة والنصف .

ثم انسحب وأغلق الباب ، فارتمى باسبارتو على كرسي ، وهو يقول : علقنا في الفخ .

وقالت الفتاة بصوت رقيق : يجب التخلي عني يا سيدي ، فأنتم هنا لأنكم أنقذتموني .

قال لها فيلياس فوغ إن هذا مستحيل ، فالهندوس لا يجرؤون على الشكوى إلى السلطات الإنكليزية في مثل هذه القضية ، وهو على أي حال لن يتخلى عن الفتاة قبل وصولها إلى هونغ كونغ .

فهتف باسبارتو : ولكن السفينة تبحر الساعة الثانية عشرة .

فقال له فيلياس فوغ بلهجة واثقة : سنكون على ظهرها .

فسكت باسبارتو ولم يبد عليه الاقتناع .

الساعة الثامنة والنصف ، فتح الشرطي الباب وأدخل السجناء إلى قاعة مجاورة وهي قاعة المحكمة التي ملأ مقاعدها جمهور من مختلف الأجناس .

جلس فيلياس فوغ وباسبارتو والفتاة على مقعد خشبي طويل ، وسرعان ما دخل القاضي (أوباديا) . وهو رجل سمين قصير مرح يمازح مَنْ حوله ، ونادى الكاتب على القضية الأولى : فيلياس فوغ !

فأجابه : نعم ، حاضر .

ثم نادى : باسبارتو .

فأجابه : نعم ، حاضر .

قال القاضي :

– إن الشرطة تلاحقكما منذ يومين وتنتظر وصولكما في القطار من بومباي ، وقد خالفتم القانون المحلي ، أدخلوا الشهود .

فدخل ثلاثة كهنة هندوس ، وهمس باسبارتو :

– إنهم أولئك الخبثاء الذين أرادوا إحراق الفتاة .

وقرأ الكاتب نص الاتهام بانتهاك المقدسات الهندوسية من قِبل فيلياس فوغ وخادمه باسبارتو ، وقال القاضي : هل سمعتما ؟

فقال فيلياس فوغ : إني أعترف سيدي القاضي .

فقال القاضي : آه .. تعترف إذن !

– نعم أعترف ، وأنتظر من هؤلاء الكهنة أن يعترفوا بما كانوا يفعلون في معبد (بيلاجي) .

فتبادل الكهنة الثلاثة النظرات ولم يبد عليهم أنهم فهموا ما يقول

وصرخ باسبارتو : كانوا في معبد (بيلاجي) يحاولون إحراق هذه المرأة .

وظهرت الدهشة على وجه القاضي أيضاً : كيف ذلك ؟ من يتكلم عن إحراق امرأة في مدينة بومباي ؟

وهتف باسبارتو :

– بومباي ؟

– طبعاً .. في معبد (ماليبارهيل) في بومباي ، ولدينا أدلة إثبات .

وقال الكاتب وهو يضع على الطاولة حذاءً :

– هذا دليل الإثبات .

وصرخ باسبارتو : حذائي !

وأدرك المتهمون أن القضية لا تتعلق بإحراق الفتاة ، بل بدخول باسبارتو حرم المعبد بحذائه ، وكان المفتش فيكس قد تابع القضية وحرض الكهنة على تقديم الشكوى أملاً في توقيف السيد فوغ وخادمه .

قال القاضي : تعترفان إذن بجريمتكما هذه ؟

قال فيلياس فوغ : نعترف ، سيدي القاضي .

فتابع القاضي قائلاً : إن القانون الإنكليزي يحمي كافة الأماكن المقدسة الواقعة في الأقاليم الخاضعة لهذا القانون ، وقد اعترف السيد باسبارتو بأنه دخل معبد ماليبارهيل بحذائه ودنس المقدسات الهندوسية يوم 20 تشرين الثاني ، ولذلك فقد صدر الحكم عليه بدفع غرامة قدرها ثلاثمائة جنيه وأسبوعين سجناً .

صاح باسبارتو : ماذا ؟

فأسكته الكاتب ، وتابع القاضي قراءة الحكم :

– وبما أن السيد فيلياس فوغ مسؤول عن تصرفات خادمه ، فقد حكم عليه بغرامة قدرها مائة وخمسون جنيه وثمانية أيام سجناً .. القضية التالية .

وأحس فيكس بانتصاره التام ، واعترف فيلياس فوغ قائلاً :

– لحظة سيدي القاضي .. سأدفع الكفالة .

قال القاضي : هذا حقك .

وتصبب العرق البارد على جبين فيكس ، ولكن عاد إليه الأمل حين سمع القاضي يحدد الغرامة بمبلغ ألف جنيه لكل متهم تدفع نقداً .

فقال فيلياس فوغ : ادفعها سيدي القاضي .

أخرج باسبارتو من الحقيبة التي يحملها رزمة من الأوراق المالية ، فقال القاضي : سيعاد إليك هذا المبلغ حال خروجك من السجن .. وبانتظار ذلك فأنت مطلق السراح بكفالة .

قال فيلياس فوغ لباسبارتو : هيا .. لنسرع !

وصرخ باسبارتو : أعيدوا لي حذائي على الأقل !

الساعة الحادية عشرة ، كان فيلياس فوغ على ظهر السفينة (رانغون) ، وزمجر فيكس :

– الخبثاء ! يبذرون الأموال المسروقة .. لا بأس ، سألاحقكم !

وصعد إلى السفينة أيضاً .

والواقع أن فيلياس فوغ منذ أن غادر لندن قد أنفق ما يعادل خمسة آلاف جنيه ، سواء في شراء الفيل أو دفع الغرامة .

الفصل السادس عشر

حينما لم يكن فيكس يفهم معنى ما يقال له



كانت السفينة (رانغون) تابعة للشركة الشرقية أيضاً . ولم تكن مثل السفينة (مونغوليا) من حيث وسائل الراحة ،_وقد توقع فيلياس فوغ أن يجدها أفضل مما هي عليه ، ولكن الرحلة لن تدوم أكثر من أحد عشر يوماً ، ولا يبدو على الفتاة أنها تتطلب الكثير ، وقد توثقت معرفتها أثناء الرحلة بالسيد فوغ ، لا لأنه يسعى لاكتساب صداقتها ، بل لأنها تراه كل يوم وتقضي في صحبته بعض الساعات يتحدثان أثناءها في مختلف الأمور .

كان باسبارتو قد تطوع بإطلاعها على تفاصيل رحلة السيد فوغ ، والرهان الذي التزم به في لندن ، فابتسمت وحمدت الله لأن هذا الرهان كان سبباً في إنقاذ حياتها ، وأما ما كان يقلقها فهو الحالة التي سيكون عليها قريبها (جيجا) التي ستذهب إلى لقائه في هونغ كونغ وكيفية استقباله لها ، فهل ستجد لدى عم أبيها التاجر البارثي مثلها ما ترجوه

من المساعدة ؟ فطمأنها السيد فوغ وقال إن لكل شيء حلاً رياضياً . فنظرت إليه بعينيها السوداوين ، ولكنه ظل جامداً كصخرة .

كانت السفينة (رانغون) تجتاز جزر (أندرما) المشهورة بسكانها من الأقزام ، وهم أقوام بدائيون يقال إنهم يأكلون لحم البشر ، ودخلت السفينة بعدئذٍ بحر الصين .

ماذا كان المفتش فيكس يفعل أثناء ذلك ، وهو الذي خاض هذه المغامرة ما بين المحيطات ؟ أول ما فعله قبل مغادرته كلكتا هو إرسال مذكرة التوقيف إلى هونغ كونغ حال وصولها إليه . وصعد إلى السفينة محاولاً ألا يلفت إليه الأنظار ، وقد صعب عليه أن يفسر لباسبارتو وجوده على ظهر السفينة (رانغون) دون أن يثير شكوكه .

والواقع أن فيكس قد سيطرت عليه الحيرة ، لأن هونغ كونغ آخر إقليم خاضع للسلطة البريطانية ، وأما الصين واليابان وأميركا فإنها ملجأ آمن لفيلياس فوغ ، ولا يكفي مجرد مذكرة توقيف للقبض عليه ، ولا بد من استصدار مذكرة تسليم دولية ، وتلك يصعب الحصول عليها .

ولئن فشل فيكس في بومباي وكلكتا فلا ينبغي له أن يفشل في هونغ كونغ ، وعليه أن يؤخر فيلياس فوغ في هونغ كونغ في أي وسيلة بانتظار مذكرة التوقيف التي ستصله لاحقاً ، وعليه أن يتقرب إلى

باسبارتو الذي قد يُعينُه في تحقيق أهدافه دون أن يدري ، ولعله يستطيع استخدام هذه المرأة التي ترافق فيلياس فوغ . ولكن من هذه المرأة ؟ وما الظروف التي دفعتها إلى مرافقته ؟ ولا ريب أنه تعرف عليها ما بين بومباي وكلكتا ، فكيف تم ذلك ؟ وتساءل عن وجود عملية اختطاف إجرامية ، وترسخت هذه الفكرة في ذهنه ، وتخيل كيفية توجيهها لتحقيق مآربه ، وإذا صحّ ظنُّه فإن فيلياس فوغ لن يتخلص من هذه الورطة بكفالة مالية كما فعل في كلكتا ، ولكن عليه الإسراع في تنفيذ خطته وإخطار السلطات في هونغ كونغ مسبقاً ، وهذا أمر سهل لأن السفينة تتوقف في سنغافورة ويمكنه إرسال برقية منها .

قرر فيكس أن يستدرج باسبارتو في الحديث ، وأن يظهر على سطح السفينة ، فليس لديه وقت يضيعه ، فاليوم 30 تشرين الثاني ومن الغد تتوقف السفينة (رانغون) في سنغافورة .

وسرعان ما لمح باسبارتو يتجول في مقدمة السفينة ، فاقترب منه وهو يهتف :

– آه ! أنت هنا أيضاً ؟ يا لها من مفاجأة ؟

فقال باسبارتو مندهشاً :

– السيد فيكس ؟ هل تقوم بجولة حول العالم أيضاً ؟

قال فيكس :

– لا .. سأتوقف في هونغ كونغ عدة أيام .



– ولكن كيف لم أرك منذ انطلاق السفينة ؟

– شعرت بدوار البحر وبقيت في حجرتي .. وسيدك كيف حاله ؟

– مضبوط كالساعة ، ولم يتأخر في رحلته دقيقة واحدة ، وهل تعرف أن معنا الآن فتاة ترافقنا ؟

وتظاهر فيكس بالدهشة :

– فتاة ؟

وأحس فيكس بخيبة الأمل حين روى له باسبارتو تفاصيل مغامرتهم ، وسأله :

– هل ينوي سيدك أن يأخذها معه إلى أوروبا ؟

– لا يا سيدي ! سنوصلها إلى أحد أقاربها في هونغ كونغ .

وقال فيكس لنفسه

– لا مجال للقبض عليه بتهمة الاختطاف ، ولكني سأجد شيئاً آخر !

الفصل السابع عشر

حينما حدثت أمور كثيرة ما بين هونغ كونغ وسنغافورة



منذ ذلك اليوم تعددت اللقاءات بين فيكس وباسبارتو الذي بدأ يتعجب من هذه المصادفات التي تضع فيكس في طريقه دوماً ، ولو قضى باسبارتو في التفكير دهراً لما عرف الأسباب الحقيقية لوجود فيكس على ظهر السفينة (رانغون) ، ولكن الفكر الإنساني ميال إلى إيجاد الحلول المنطقية للأمور ، فظن باسبارتو أن أعضاء نادي الإصلاح قد كلفوا فيكس بمراقبة خصمهم ليتأكدوا من إنجازه هذه الجولة موضوع الرهان .

وقال لنفسه :

– هذا واضح ، فهو جاسوس أرسله أعضاء النادي مما يدل على عدم ثقتهم بسيدي ، سيكلفكم هذا غالياً .. أيها السادة ! .

ابتهج باسبارتو بهذا الاكتشاف ، ولكنه قرر ألا ينبه سيده إليه لئلا يجرح مشاعره ، وعزم على أن يهزأ بفيكس من طرف خفي دون أن يثير شكوكه .

يوم 30 تشرين الأول بعد الظهر ، وصلت السفينة إلى سومطرة ، ومن الغد ، الرابعة صباحاً سترسي في سنغافورة ، متقدمة بنصف يوم على موعدها النظامي . وهو ربح سجله فيلياس فوغ في دفتره ، ونزل مع الفتاة إلى اليابسة ليتجولا قليلاً .

لم تكن جزيرة سومطرة واسعة ، وليس فيها جبال ، ولكنها رائعة ، فيها شوارع عريضة ، فركب فيلياس فوغ والفتاة عربة تجرها خيول مستوردة من أستراليا ، وتنزها عبر حدائقها الغنّاء وغاباتها الكثيفة التي كانت تتقافز القرود على ذراها ، ولئن كانت الفتاة مبتهجة بهذه النُزهة فإن السيد فوغ كان مشغولاً عن تلك المناظر الطبيعية .

كانت شوارع سومطرة الواسعة محاطة بالبيوت الفخمة المبنية بالحجر ، تحيط بها حدائق الأناناس وأشجار جوز الهند وأصناف الأشجار المثمرة .

قام باسبارتو بشراء بعض الحاجات التي كلفه بها سيده ، وانتهز الفرصة فاشترى بعض فواكه المانغو التي لم يرها من قبل ووجدها لذيذة المذاق ، ثم رجع إلى السفينة ينتظرهما ، وحين عادا قدم إلى الفتاة بعض هذه الفواكه فتناولتها منه شاكرة له .

الساعة الحادية عشرة أبحرت السفينة (رانغون) ، وكان يفصل سنغافورة عن هونغ كونغ حوالي ألف وثلاثمائة ميل ، ولابدَ أن تقطع

الرحلة خلال عشرة أيام إذا أراد فيلياس فوغ أن يستقل الباخرة من هونغ كونغ التي تغادرها يوم 6 تشرين الثاني إلى يوكوهاما في اليابان .

وغصت السفينة (رانغون) بالركاب الذين صعدوا إليها من سنغافورة ، وكان البحر هائجاً والأمواج الهائلة تتقاذف السفينة القديمة ، ولم تكن الرحلة مريحة ، وكثيراً ما اضطرت السفينة إلى تخفيف سرعتها ، فكان باسبارتو يصب غضبه على القبطان أو الشركة الناقلة أو الأحوال الجوية ، وأما السيد فوغ فلم يكن يعبأ بهذا التأخير .

سأل فيكس باسبارتو ذات يوم :

– تبدو عليكم العجلة للوصول إلى هونغ كونغ .

– طبعاً .. لأننا سنستقل السفينة المغادرة إلى يوكوهاما .

– وهل تعتقد أن سيدك يقوم فعلاً بجولة حول العالم ؟

– طبعاً .. ألا تعتقد أنت ذلك ؟

– لا .. لا أعتقد ذلك .

فغمزه باسبارتو وقال :

– أنت هازل لا ريب .

وأثارت هذه الجملة قلق فيكس ولم يعرف سبباً له ، فهل كشف الفرنسي حقيقة أمره ؟

ذات يوم تمادى باسبارتو أكثر فسأل فيكس بلهجة ماكرة :

– إذا وصلنا إلى هونغ كونغ فهل نأسف لفراقك ؟

فقال فيكس متلعثماً :

– لا أدري ، من المحتمل أن ..

فقاطعه باسبارتو :

– لا ريب أنك تتمتع بالسفر من بومباي إلى الصين ، ثم إن أميركا ليست بعيدة وليس بينها وبين أوروبا سوى خطوة واحدة .

وتأمل فيكس محدثه الذي تبدو عليه البلاهة المصطنعة ، وابتسم يخفي اضطرابه .

وسأله باسبارتو بصراحة غريبة :

– هل تربح كثيراً من هذه الأسفار ؟

فأجابه فيكس :

– هناك صفقات رابحة وأخرى خاسرة ، وأنا لا أسافر على نفقتي الخاصة .

فضحك باسبارتو عالياً وهو يقول :

– هذا شيء أعرفه .

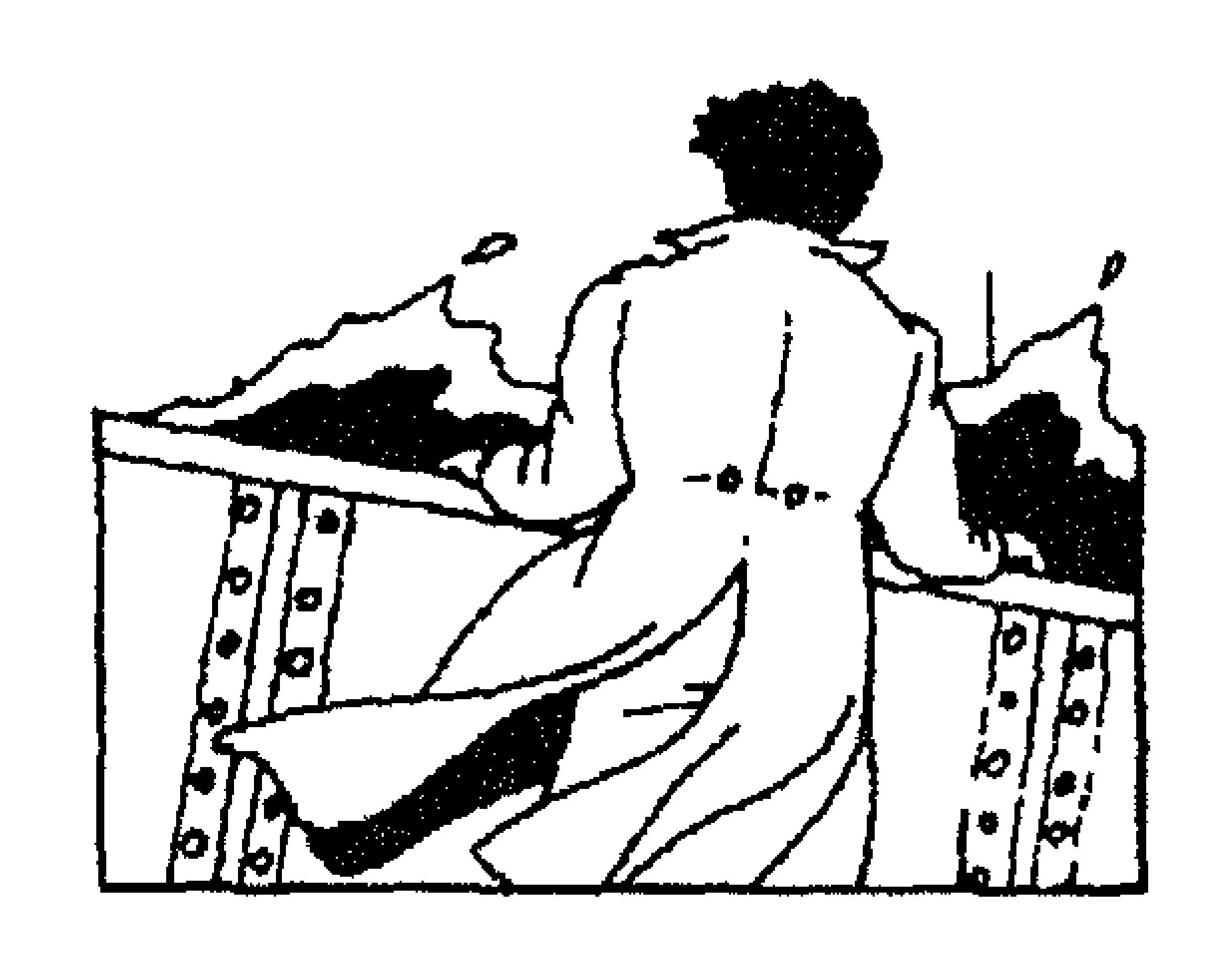
رجع فيكس إلى حجرته متعكر المزاج ، فلاشك أن باسبارتو قد عرف مهنته الحقيقية ، مفتشاً في الشرطة ، ولكن .. ما محل الفرنسي من هذه العملية ؟ هل هو شريك سيده في السرقة ؟ وعزم على أن يصارح

باسبارتو ، ويؤكد له أن سيده لن يستطيع مغادرة هونغ كونغ ، لأنها إقليم خاضع للسلطات البريطانية ، وأنه إن كان شريكه في العملية فهي عملية خاسرة ، وأما إذا كان يجهل كل شيء فمن الأفضل له أن يقف في صف القانون .

هكذا كان إذن موقف الرجلين أحدهما من الآخر ، وأما السيد فوغ فكان لا يهتم بهذا كله ، إذ أنه ثابت في مداره حول العالم ، غير مبال بتلك النجوم التي تدور في فلكه ، فلا تعيق مسيرته ولا تنال من عواطفه .

الفصل الثامن عشر

حينما انصرف فيلياس فوغ وباسبارتو وفيكس ، كل إلى شؤونه الخاصة



في الأيام الأخيرة من الإبحار انقلب الطقس إلى أسوأ حال ، ويوم 3 و 4 تشرين الثاني أنقصت السفينة (رانغون) من سرعتها إلى أدنى حد ، وتوقعوا أن تصل متأخرة أربعاً وعشرين ساعة عن موعدها النظامي إذا لم تهدأ الرياح .

لم يتزعزع فيلياس فوغ لهذا النبأ ، وإن كان هذا التأخير سوف يتسبب في تخلفه عن موعد إقلاع الباخرة في يوكوهاما ، وكأن هذه العاصفة جزء من برنامج الرجل الذي لا يتأثر بشيء .

ولم ير فيكس الأمور بالطريقة ذاتها ، فقد ابتهج لهذا التأخير وتمنى لو ازدادت الأحوال الجوية سوءاً ، وإن اقتلع الدوار معدته من الغثيان .

أما باسبارتو فقد بلغ به الغضب أشده ، ولم يستطع أن يثبت في مكان واحد أثناء العاصفة لتوفز أعصابه ، وسأل القبطان والبحارة عن مدتها ، فهزئوا به . وأخيراً ، هدأت العاصفة واعتدل سير السفينة ،

وانطلقت تسابق الرياح لكي تعوض تأخيرها وتوقعوا وصول السفينة إلى يوكوهاما يوم 6 تشرين الثاني ، على حين أن السفينة التي يستقلها فيلياس فوغ تغادر يوم 5 تشرين الثاني ، وفقد باسبارتو كل آماله .

الساعة السادسة وقف القبطان أمام الدفة يوجه السفينة بين مجموعة الجزر المحيطة بهونغ كونغ ، وخطر لفيلياس فوغ أن يسأله عن موعد مغادرة إحدى السفن من هونغ كونغ إلى يوكوهاما فأجابه :

– غداً ، بعد المد البحري الصباحي .

فشكره دون أن تظهر الفرحة على وجهه ، ولو كان باسبارتو لارتمى عليه يعانقه ، وسأل فيلياس فوغ القبطان :

– ما اسم السفينة المغادرة ؟

– كارناتيك .

– أليس المفروض أن تسافر البارحة ؟

– نعم . ولكنها اضطرت إلى إصلاح أحد مواقدها ، فتأخرت إلى الغد .

فشكره وهبط بخطاه الآلية إلى قاعة المسافرين ، أما باسبارتو فقد شد على يد القبطان وهو يقول :

– أنت قبطان رائع !

ولم يفهم القبطان سبب هذا الإعجاب المفاجئ .

الساعة الواحدة ، كانت السفينة (رانغون) بجانب الرصيف والمسافرون يهبطون منها ، وقد تأخر فيلياس فوغ أربعاً وعشرين ساعة ، ولعل هذا التأخير لا تكون له تبعات سيئة على بقية الرحلة .

لن تبحر السفينة (كارانتيك) إلا صباح الغد الساعة الخامسة وأمام السيد فوغ ست عشرة ساعة لكي يهتم بشؤون الفتاة .

فاصطحبها إلى الفندق ، وتركها تحت حراسة باسبارتو ، وبدأ يبحث عن قريبها الذي سيتكفل بها في هونغ كونغ ، فمضى إلى مبنى (البورصة) حيث يتوقع أن يجده لأنه من كبار رجال المال ، وكانوا يعرفونه هناك ، ولكنه غادر هونغ كونغ إلى هولندا بعد أن جمع ثروة طائلة ، وحين علمت الفتاة بنتائج تحريات السيد فيلياس فوغ سألته :

– ما العمل الآن ؟

– سافري إلى أوروبا .

فأجابته وهي محرجة :

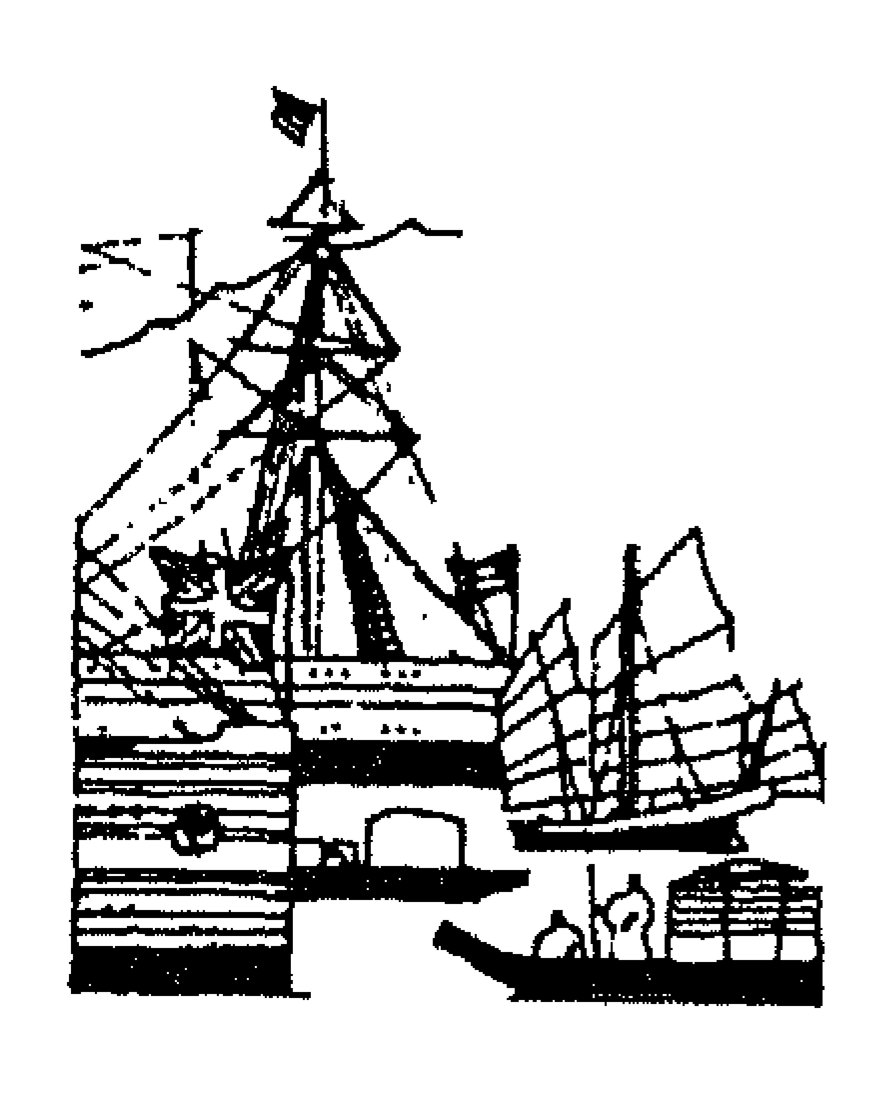
– ولكنني .. قد أضايقك .

– لا .. لأن حضورك لا يؤثر في برنامج رحلتي .

ونادى باسبارتو ، وطلب منه حجز ثلاثة أماكن على متن السفينة (كارناتيا ،) .

الفصل التاسع عشر

حينما أبدى باسبارتو اهتماماً شديداً بشؤون سيده ، وما تبع ذلك



مضى باسبارتو إلى الميناء وجعل يتأمل السفن الراسية فيه من كل أنحاء العالم ، ومن مختلف الجنسيات ، الأميركية والبريطانية والهولندية واليابانية والصينية . وعلى اختلاف الأنواع ، من سفن حربية إلى سفن تجارية أو مراكب صيد .

وصادف على الرصيف فيكس الذي كان يتمشى جيئة وذهاباً ، ولم يدهش باسبارتو لرؤيته أو رؤية الكآبة التي تعلو وجهه ، وقال لنفسه :

– هذا دليل على أن الأمور سيئة بالنسبة إلى جماعة نادي الإصلاح .

واقترب منه وسأله :

– هل ستأتي معنا إلى أميركا يا سيد فيكس ؟

فأجابه من بين أسنانه :

– نعم .

فضحك باسبارتو وقال :

– كنت واثقاً من ذلك ، هيا احجز مكاناً لك .

وحجزوا أربعة أماكن ، فأعلمهم المستخدم أن الإصلاحات الجارية على السفينة قد انتهت ، ولذا فإنها ستغادر هونغ كونغ هذا المساء الساعة الثامنة ، وليس غداً كما كان مقرراً .

فقال باسبارتو :

– سأزف البشرى إلى السيد فيلياس فوغ وسوف يفرح بها .

حينئذ عزم فيكس على أن يجازف بكل شيء ويصارح باسبارتو ، فدعاه إلى فنجان قهوة فقبل منه دعوته ، وبعد أن جلب الخادم ما طلبا منه تحدثا في مواضيع شتى ، ثم قال له فيكس :

– أريد أن أكلمك عن السيد فيلياس فوغ .

– أنت تعرف عنه كل شيء ، فماذا ينقصك إذن ؟



فوضع فيكس يده على ذراع باسبارتو وقال :

– هل عرفت من أكون ؟

– بالطبع ، هذا واضح .

– وإذن .. سأعترف لك بكل شيء .

– الآن ؟ وقد عرفت كل شيء وحدي ؟ ولكن لا بأس .. هات ما عندك ! وقبل ذلك دعني أقُل لك إن الذين أرسلوك قد أهدروا أموالهم بلا جدوى .

– بلا جدوى ؟ الظاهر أنك لا تعرف أهمية القضية .

قال باسبارتو :

– كيف لا أعرفها ؟ إنها عشرون ألف جنيه .

– بل خمسة وخمسون ألفاً .

– وهذا سبب إضافي لئلا أضيع لحظة واحدة .

وحاول باسبارتو النهوض ولكن فيكس طلب مشروباً آخر ، وطلب منه الجلوس فقال :

– وإذا نجحت في مهمتي فسوف أربح ألفي جنيه ، فهل تقبل خمسمئة جنيه لمساعدتي ؟

وذهل باسبارتو وهو يقول :

– أساعدك ؟

– نعم تساعدني على احتجاز فيلياس فوغ عدة أيام في هونغ كونغ .

وغضب أشد الغضب ، إذ لا يكتفي هؤلاء الناس بالشك في سيده حتى يقيموا في طريقه العقبات ! فأجابه :

– هذا عار على هؤلاء الناس !

فقال فيكس :

– ومن تقصد بقولك : هؤلاء الناس ؟

– أعضاء نادي الإصلاح ، اعلم يا رجل أن سيدي، قد قبل الرهان وسوف يربحه بشرف .

لم يفهم فيكس شيئاً مما يقوله فسأله :

– من تظنني إذن ؟

– هذا واضح . أنت عميل لأعضاء نادي الإصلاح ، وقد تعاقدوا معك على ملاحقة السيد فوغ والتأكد من قيامه بجولة حول العالم وأرى هذا أمراً شائناً لم أشأ أن أخبر سيدي به .

– هو لا يعرف شيئاً ؟

– لا شيء إطلاقاً .

فقال له فيكس بصوت خافض ..

– أرى أنك لا تعرف من أنا فعلاً .

فهز باسبارتو كتفيه استهانة فتابع فيكس :

– إني مفتش شرطة ، مكلف بمهمة من الدائرة الدولية ، وهذه مهمتي الرسمية .

وجذب فيكس من محفظته وثيقة موقعة من مدير الشرطة وبسطها أمامه ، فلم يصدق باسبارتو عينيه .

وتابع فيكس :

– إن رهان السيد فوغ ليس سوى ذريعة ..

وروى له قضية السرقة من بدايتها ، وكيف أن أوصاف السارق تنطبق على سيده تماماً ، وأنه اتخذ الرهان ذريعة ليهرب بالأموال إلى أميركا .

لم يصدق باسبارتو أن سيده الذي جازف بحياته لإنقاذ الفتاة من المحرقة ، هذا الرجل الشهم الكريم سارق تلاحقه الشرطة .. هذا مستحيل !

وسأله فيكس :

– هل ترفض مساعدتي ؟

– أرفض .

– حسناً .. لننس الموضوع .

101

نهض فيكس إلى صاحب المقهى ودس في جيبه مبلغاً من المال وهو يشير إلى باسبارتو من طرف خفي ، ثم غادر المقهى .

الفصل العشرون

حينما اتصل فيكس اتصالاً مباشراً بفيلياس فوغ



أثناء ذلك ، كان فيلياس فوغ والفتاة يتجولان في هونغ كونغ إعداداً لسفرها إلى أوروبا . فهي بحاجة إلى ملابس كثيرة تختلف عما يحتاجه من يقوم برحلة حول العالم في ثمانين يوماً ، ولعلها أول مرة في حياته يدخل فيلياس فوغ مخازن الملابس وأدوات الزينة ، واعتذرت الفتاة لما سببته له من إزعاج ، فقال لها :

– هذا في صالح رحلتي ، وكله من ضمن البرنامج .

رجعا بعد ذلك إلى الفندق وتناولا طعام العشاء ، ثم صعدت الفتاة إلى غرفتها ، على حين انصرف السيد فوغ إلى مطالعة الصحف ، ولم يهتم لغياب باسبارتو إذ أن السفينة كما ظن لن تسافر قبل اثنتي عشرة ساعة .

صباح الغد ، لم يستجب باسبارتو لنداء سيده ، فمضى السيد فوغ مع الفتاة إلى الميناء ، والمفروض أن تبحر السفينة (كارناتيك) الساعة

التاسعة ، ووصلا إلى الرصيف في الثامنة والنصف ، فعلما أنها انطلقت مساء البارحة .

ونظرت الفتاة إلى السيد فوغ قلقة ، فقال يطمئنها :

– هذا حادث طارئ .. لا تجزعي !

وكأن سفر السفينة جزء من برنامجه أيضاً .

في تلك اللحظة اقترب منه شخص كان يراقبه باهتمام منذ مدة ، وهو المفتش فيكس وسأله :

– عفواً ! ألست أحد المسافرين على سفينة (رانغون) التي وصلت البارحة ؟

فأجابه السيد فوغ ببرودة :

– نعم . أنا هو .. مع من لي شرف الحديث ؟

– كنت أظن أن خادمك معك .

فسألته الفتاة باهتمام :

– وهل تعرف أين هو ؟

فتظاهر فيكس بالدهشة وقال :

– كيف ؟ ألم يكن معكما ؟

– لا .. لم نره منذ البارحة ، أيكون قد سافر على السفينة (كارانتيك) ؟

– كنت سأسافر على هذه السفينة أيضاً ولكن لم ألحق بها ، ولا توجد سفينة سواها إلا بعد ثمانية أيام .

وتلقى فيكس ضربة قاضية وهو يسمع فيلياس فوغ يقول بصوت هادئ :

– إن (الكارانتيك) ليست السفينة الوحيدة في ميناء هونغ كونغ .

ثم توجه مع الفتاة إلى المكاتب ، وتبعه فيكس كالمنوّم .

ويبدو أن الحظ قد تخلّى عن السيد فوغ ، إذ أنه بحث ثلاث ساعات ولم يجد سفينة مسافرة إلى يوكوهاما ، فالسفن كلها إمّا تحمل البضائع أو تفرغها أو إنها في حالة إصلاح لآلاتها .. وبدأ الأمل يعود إلى فيكس .

لم ييأس السيد فوغ ، وعزم أن يسافر إلى ماكاو ، وحينئذ اقترب منه أحد البحارة وسأله بأدب :

– يبدو أنك تبحث عن مركب يا سيدي ؟

– هل لديك مركب جاهز للإبحار ؟

– نعم يا سيدي ، المركب رقم **43** أفضل مركب في الميناء ، هل تريد رؤيته ؟

– نعم .

– ستقنعك رؤيته ، ولعلك تريد القيام بنــــزهة بحرية !

– هل تأخذني إلى يوكوهاما ؟

فتوسعت عينا البحار دهشة وهو يقول :

– أظنك تمزح يا سيدي .

– لا .. أبداً ، يجب أن أصل إلى يوكوهاما يوم **14** لأستقل السفينة إلى سان فرانسيسكو .

قال البحار :

– آسف ! هذا مستحيل .

– أقدم إليك مائة جنيه يومياً ، وعلاوة قدرها مائتا جنيه إذا وصلت في الوقت المحدد .

وسأل البحار وهو يحك رأسه :

– هل أنت جاد ؟

وكان حائراً بين كسب هذا المبلغ الكبير والمجازفة بالإبحار ثلاثة آلاف كيلو متر ، على متن مركب صغير في هذا الفصل الهائج من السنة .

وعاد الأمل إلى فيكس .

ولكن تابع البحار قائلاً :

– هناك حل آخر يا سيدي !

– ما هو ؟

– الذهاب إلى ناغازاكي ، جنوب اليابان وهي على مسافة ألفي كيلو متر ، أو شنغهاي وهي على مسافة ألف وستمائة كيلو متر فقط .

فأجابه السيد فوغ :

– أريد الذهاب إلى يوكوهاما ومنها إلى أميركا ، لا إلى شنغهاي أو ناغازاكي !

فقال البحار :

– ولم لا ؟ فالسفينة المبحرة إلى سان فرانسيسكو لا تنطلق من يوكوهاما ، بل تتوقف فيها كما تتوقف في ناغازاكي ، أما ميناء انطلاقها فهو شنغهاي .

وسأله السيد فوغ :

– هل أنت متأكد ؟

– متأكد تماماً ، والسفينة تغادر يوم **11** ، الساعة السابعة مساء ، فأمامنا أربعة أيام نستطيع أثناءها اجتياز الثمانمائة كيلو متر التي تفصلنا عن شنغهاي بكل سهولة .

– ومتى تستطيع الإبحار ؟

– خلال ساعة ، الوقت الكافي للتزود بالمؤونة .

– اتفقنا . هل أنت صاحب المركب ؟

– جون بنسباي ، قبطان المركب (تنكادير) .

– هذه مائتا جنيه ، عربوناً .

ثم التفت إلى فيكس وسأله :

– هل تنتهز هذه الفرصة يا سيدي ؟

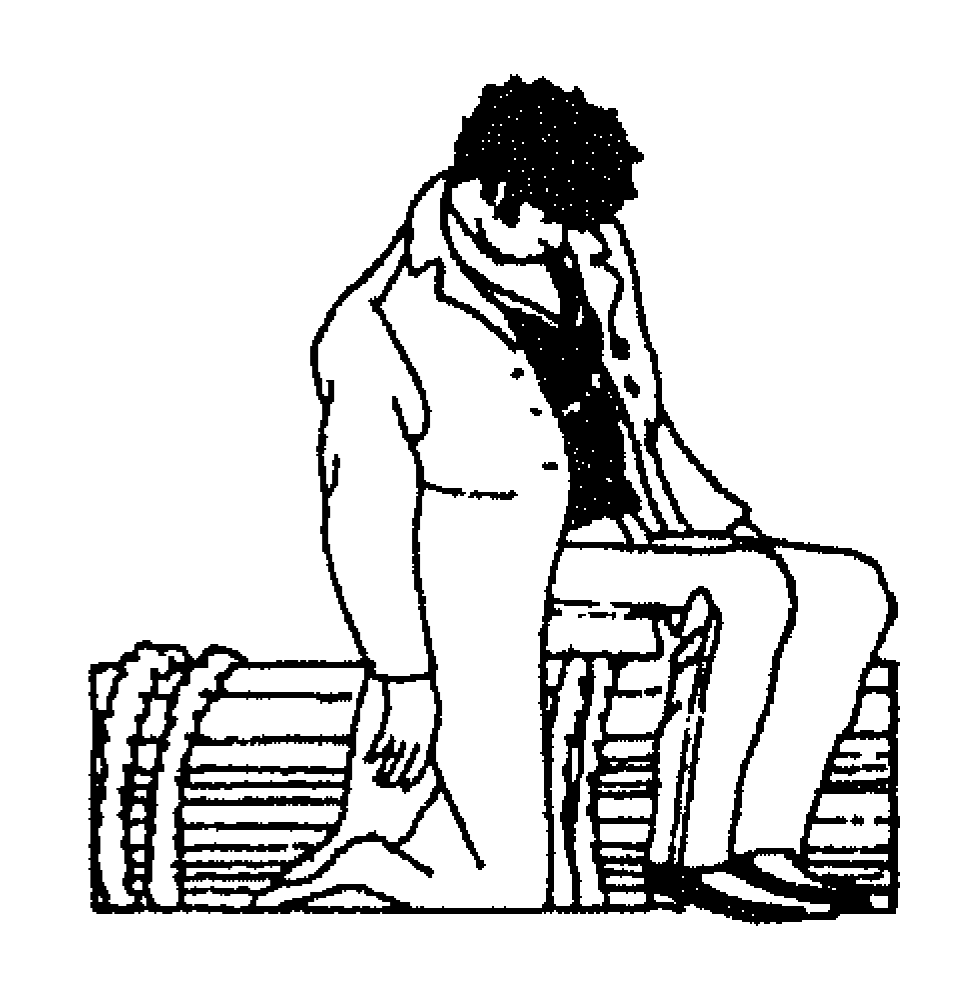
– كنت على وشك أن أسألك هذه الخدمة .

قال فيكس هذا والألم يحز في فؤاده .

بعد ساعة ترك السيد فوغ لدى القنصلية الفرنسية ، ما يكفي من المال لإبحار باسبارتو في حال العثور عليه ، ثم انطلق المركب وعلى متنه فيلياس فوغ والفتاة والمفتش فيكس متوجهين إلى شنغهاي .

الفصل الواحد والعشرون

حينما تأكد باسبارتو أنه من الأسلم أن يكون معك بعض المال ، حتى لو كنت في أقصى الأرض



غادرت السفينة (كارناتيك) هونغ كونغ ، 7 تشرين الثاني الساعة السادسة والنصف مساء ، متوجهة بأقصى سرعتها نحو سواحل اليابان ، وبقيت مقصورتان فارغتين ، وقد حجزتا باسم السيد فيلياس فوغ .

من صباح الغد دهش البحار لرؤية رجل متعثر الخطوات يمشي كالنائم خارجاً من حجرات الدرجة الثانية ليجلس فوق أحد المقاعد ، ولم يكن هذا الرجل سوى باسبارتو !

وتفصيل ذلك أنه بعد أن تركه فيكس في المقهى ، طلب فنجاناً من الشاي ، وما كاد يكمله حتى أحس بنعاس شديد يسكن أجفانه . فقد دس له الخادم مخدراً قوياً فيه بعد أن رشاه المفتش فيكس ببعض المال .

فنام باسبارتو عدة ساعات ، ولكنه انتبه من غفوته ، وكأنه يرى كوابيس مزعجة ، وخرج من المقهى وهو يهذي مردداً : كارانتيك .. كارانتيك !

ولا ندري كيف وصل إلى الميناء والسفينة على وشك الرحيل ، ولكنه صعد السلم ، وساعده البحارة على دخول مقصورته ، واستيقظ من الغد وهو على مسافة خمسمائة ميل من سواحل الصين .

وهكذا جلس باسبارتو على مقعد يتنشق هواء البحر ويستجمع أفكاره .

فقال لنفسه :

– ماذا سيظن بي سيدي ؟ والمهم أني لم أتأخر عن السفينة ، وأما فيكس فآمل ألا أسمع به أبد الدهر .

وتساءل عما إذا كان من واجبه أن يفضي إلى سيده بالشكوك الدائرة حوله ؟ ولكن المهم أن يجد فيلياس فوغ ويقدم إليه اعتذاره لسوء سلوكه ، فلا ريب أنه قد وجد الآن من يلاعبه الورق في القاعة كالمعتاد . وبحث عن سيده فلم يجده في القاعة ، وسأل عنه المشرف على المقصورات فأكد له أنه غير موجود على متن السفينة ، وحين طلب التوثق من ذلك بمراجعة قائمة المسافرين أصبح الأمر له جلياً ، فسأل :

– هل أنا على متن السفينة (كارانتيك) ؟

– تماماً .. يا سيدي !

– المتوجهة إلى يوكوهاما ؟

– المتوجهة إلى يوكوهاما .

فارتمى على المقعد مذهولاً . وبعد دقائق من التفكير تذكر أنه لم يُخطر سيده بموعد سفر السفينة ، فكانت غلطته أنه تخلف عن ركوبها .

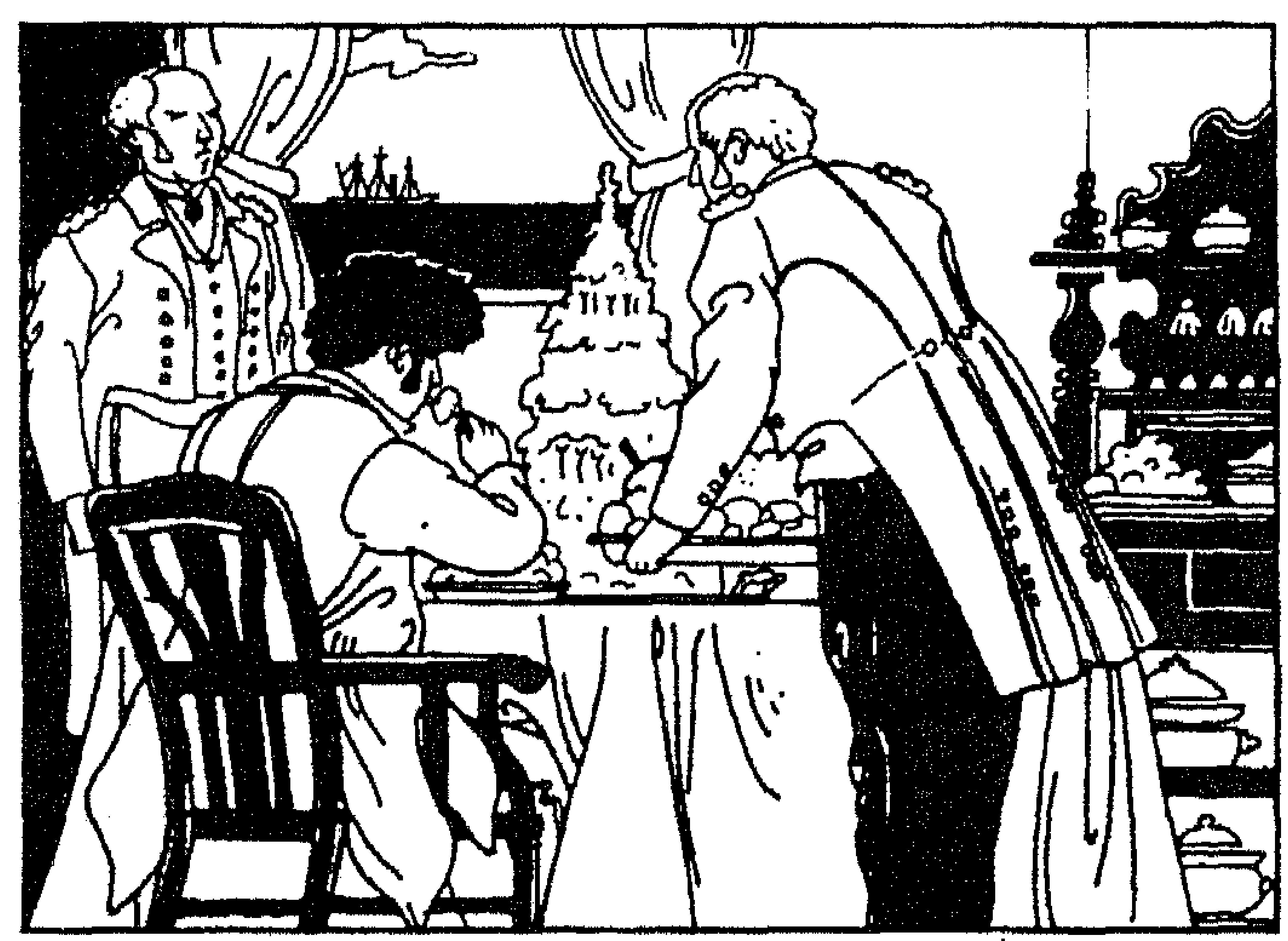
نعم .. إنها غلطته . ولكنها غلطة فيكس الخائن الذي دس له المخدر ليبعده عن سيده ، ولم يدر ما يفعل فشد شعر رأسه غيظاً :

آه .. لو وقع فيكس تحت يده لنال جزاءه . وبعد أن مرت لحظات الخيبة جعل باسبارتو يدرس الموقف :

إنه في طريقه إلى اليابان ، ولكن كيف يعود منها وليس في جيبه جنيه واحد ؟ إن أجرة السفر والطعام مدفوعة لمدة خمسة أيام أو ستة حتى وصوله إلى يوكوهاما . وبعد ذلك ؟

وقرر أن يتزود بالطعام استعداداً لأيام الجوع القادمة ، واندفع يأكل بشراهة كما لو أن اليابان قد أصابتها مجاعة ، فكان يأكل عنه وعن الفتاة وعن فيلياس فوغ .

رست السفينة (كارانتيك) يوم **13** تشرين الثاني في ميناء يوكوهاما ، ونزل باسبارتو دون حماسة كبيرة إلى بلاد أبناء الشمس المشرقة ، ولم يجد أفضل من السير على غير هدى في طرقات المدينة .



فاجتاز أولاً بالمدينة الأوروبية التي كانت غاصة بالناس من مختلف الجنسيات كما في هونغ كونغ وكلكتا ، ولكنه أحس بالغربة بينهم ، وكان يستطيع التوجه إلى القنصلية الفرنسية أو البريطانية ويحكي لهم قصته ، ولكنه آثر أن يجعل هذا آخر قرار يتخذه لئلا يسيء إلى سمعة سيده .

وإذن .. بعد أن تسكع في المدينة الأوروبية ، دون أن يصادف شيئاً مفيداً له ، دخل المدينة اليابانية التي تدعى (بنتن) نسبة إلى ربّة البحر . كان قلبه طافحاً بالألم وهو يتفرج على حدائق الصنوبر والأرز والقناطر المصنوعة من الخيزران ، ويتأمل رجال الشرطة والجمارك في

بدلاهم المميزة وهم يحملون سيفين معاً ، ولفتت نظره النساء اليابانيات بملابسهن المحلية المصنوعة من الحرير .

تجول باسبارتو في كل مكان ، وتجنب الشوارع العامرة بالمطاعم ، لأنها قد تثير شهيته وهو لا يملك مالاً حتى وصل إلى الريف ، وكان قد تناول فطوراً ثقيلاً على ظهر السفينة ، ولكنه أحس بمعدته فارغة بعد يوم كامل من التجوال الطويل ، وكم تشهى اللحوم المعروضة في واجهات المطاعم والأسواق ، وخاصة الأسماك التي يتناولها اليابانيون كل يوم تقريباً .

أقبل الليل ولم يجد باسبارتو شيئاً يأكله .

الفصل الثاني والعشرون

حينما استطال أنف باسبارتو بشكل غير معقول



من الغد ، وبعد أن قضى باسبارتو ليلة في العراء ، نهض متعباً جائعاً وقد عزم على أن يأكل مهما كلفه الأمر ، وفكر بأن يبيع ساعته ولكنه فضل الموت على ذلك ، ثم فكر بأن يستخدم صوته الشجي ، فيقدم إلى الحاضرين من أبناء اليابان نموذجاً عن الغناء الغربي ، ولكنه خشي أن يذهب جهده هباء ولا يدفع له أحد شيئاً .

وأما الأمر الذي دفع عنه غائلة الجوع ، فهو اكتشافه مخزناً لبيع الملابس القديمة ، اشترى منه ملابسه الأوروبية مقابل ثوب ياباني من الطراز العتيق وفوقه قبعة تناسبه .

وربح بين هاتين الصفقتين بعض النقود ، ودخل مطعماً وطلب وجبة الغداء وهو يفكر بوسيلة يحصل بها على عشائه ، وقال لنفسه : " يجب أن أظل هادئ الأعصاب ولا أفقد اتزاني ولن أستطيع مقايضة هذه

الملابس العتيقة بأسوأ منها ، وينبغي لي مغادرة بلاد الشمس المشرقة بأقرب وقت ، فقد ساءت حالتي فيها " .



وفكر بأن يعمل على ظهر إحدى السفن المسافرة إلى أميركا طباخاً أو خادماً . فتوجه إلى الأرصفة ، فجذب انتباهه رجل يحمل على ظهره إعلاناً مكتوباً على لوح كبير باللغتين اليابانية والإنكليزية يتجول به في شوارع المدينة :

(الفرقة اليابانية البهلوانية بقيادة وليام باتولكار تقدم آخر استعراضاتها اليوم قبل مغادرتها إلى الولايات المتحدة الأميركية وخاصة عروض الأنوف الطويلة مع ألعاب سحرية متنوعة) .

وهتف باسبارتو :

– الولايات المتحدة الأميركية ؟ هذا ما أبحث عنه .

ومشى وراء الرجل حتى دخل المدينة اليابانية ، وبعد ربع ساعة وجد نفسه أمام المبنى حيث يقيم وليام باتولكار ، المدير الأميركي لفرقة السيرك الذي يستعد للرحيل إلى أميركا . وطلب باسبارتو مقابلته شخصياً . وسأله الرجل :

– ماذا تريد ؟

وقد ظنه يابانياً بادئ الأمر .

فقال باسبارتو :

– هل تحتاجون إلى خادم ؟

فقال مدير السيرك :

– خادم ؟ لدي خادمان أعجز عن إطعامهما .

– للأسف ! كنت أتمنى لو رحلت معك .

– ولكن لماذا ترتدي هذه الثياب اليابانية .

– كل إنسان يلبس على قدر استطاعته .

– هذا صحيح .. هل أنت فرنسي ؟

– باريسي من باريس .

– وهل اشتغلت في السيرك ؟

– طبعاً .

– أستطيع استخدامك كمهرج ، لأن مهرج السيرك ترك عمله هذا الصباح .

واتفق الرجلان في الحال .

وأخيراً ، وجد باسبارتو عملاً لعله لا يليق به ، ولكنه يستطيع بواسطته الاقتراب من أوروبا .

يبدأ الاستعراض الساعة الثالثة ، والفرقة الموسيقية اليابانية تصدح بألحانها أمام باب السيرك ، وكان دور باسبارتو مع مجموعة أصحاب الأنوف الطويلة التي يختتم بها الاستعراض .

كانت الفرقة الموسيقية مؤلفة من الأبواق والطبول والصنوج ترافق الحركات الرياضية ، وأعجب باسبارتو بالبهلوانيين اليابانيين الذين يظنهم من أفضل رياضيي العالم ، يلبس أحدهم أجنحة من الورق ويقلد طيران الفراشة ، ويدخن آخر غليوناً طويلاً ويكتب بالدخان المتصاعد منه عبارات الترحيب بالمشاهدين ، ويرمي ثالث في الهواء شموعاً مشتعلة ويدورها حول رأسه ثم يطفئها حين تصل إلى مستوى فمه ، ويدوّر آخر مجموعة من الصحون فوق قضبان الخيزران ويزيد في سرعتها ثم يجمعها واحداً بعد الآخر دون أن يسقط واحد منها .

وأما أروع ما تقدمه الفرقة ، فهو استعراض أصحاب الأنوف الطويلة الذين يشكلون جمعية مشهورة في اليابان ، ويثبتون على أكتافهم أجنحة واسعة كأجنحة الطيور ، أما أنوفهم فهي قضبان من الخيزران طولها ما بين خمس إلى عشر أقدام ، بعضها مستقيم وبعضها الآخر منحن ، تثبتت بأشرطة معقودة وراء رؤوسهم ، ويرقد أحدهم على الأرض ويهاجمه الآخرون بأنوفهم ويدافع هو عن نفسه بحركات بهلوانية رياضية تخلب عقول المشاهدين .

ويختتم هذا الاستعراض بـــ (الهَرَم البشري) إذ يقف الرجال بعضهم فوق بعض ، وقد شبكوا أنوفهم على أشكال هندسية غريبة ، ولأن باسبارتو كان قوي البنية فقد انضم إلى رجال القاعدة الذين يحملون الآخرين على أكتافهم .

دخل باسبارتو بجناحيه الملونين وأنفه الذي يمتد أمامه حوالي المترين واصطف بجانبه رفاقه ، ثم استلقى الجميع وأنوفهم إلى أعلى ، ووقف الآخرون فوقهم وقد وازنوا أنوفهم فوق أنوف رجال القاعدة وشكلوا هرماً يرتفع حتى سقف السيرك .

تعالت أصوات التصفيق ، وصدحت الفرقة بالموسيقا ، حينئذٍ .. تزعزع أحد أنوف القاعدة فانهار الهرم كله كأنه قلعة من ورق ، وكان

ذلك ذَنَب باسبارتو الذي تخلى عن موقعه ، ثم قفز فوق الحاجز الذي يفصله عن المتفرجين وارتمى على قدمي أحدهم وهو ينادي :

– سيدي .. سيدي !

– هذا أنت ؟

– نعم .

– إلى السفينة إذن !

وخرج باسبارتو يرافقه السيد فوغ والفتاة ، واندفعوا نحو الممر المؤدي إلى خارج السيرك . وهناك وجدوا باتولكار هائجاً يطالب بالتعويض لِما سببه باسبارتو من أضرار ، وهدأ السيد فوغ هياجه بأن رمى إليه ببعض الأوراق النقدية .

في تمام الساعة السادسة والنصف كان السيد فوغ والفتاة على ظهر السفينة ومعهما باسبارتو بجناحيه الملونين وأنفه الطويل الذي نسي أن ينـــزعه في غمرة فرحته باللقاء .

الفصل الثالث والعشرون

وقد جرت أحداثه أثناء عبور المحيط الهادي



نعم .. لقد غادر الجميع يوكوهوما وكان السيد فوغ والفتاة والمفتش فيكس قد وصلوا إليها على متن القارب (تنكادير) بعد رحلة شاقة لاقوا فيها إعصاراً شديداً كاد يودي بهم ، ولكنهم وصلوا إلى هدفهم سالمين ، وهاهم أولاء قد وجدوا عن طريق المصادفة باسبارتو هذا الرجل الجدير بلقب (الزيبق) فعلاً .

حكت الفتاة لباسبارتو تفاصيل رحلتهم ، وحين ذكرت اسم فيكس تمالك نفسه لأنه لم يجد فائدة من أن يروي لسيده فوغ ما حدث بينهما .

وحين حكى له أسباب تأخره لم يأت على ذكر الدور الخبيث الذي لعبه فيكس حينما رشا الخادم ليدس له المخدر في الشاي ، وكان سيده يصغي إليه ولا يجيبه ، ثم أعطاه ما يلزم من المال ليشتري ثياباً لائقة به ، وبعد ساعة نسي باسبارتو أنه عضو في فرقة الأنوف الطويلة .

كان اسم السفينة المتوجهة إلى سان فرانسيسكو (الجنرال غرانت) . وهي سفينة على دواليب ضخمة ، مجهزة لمثل هذه الرحلات الطويلة ، بالإضافة إلى أشرعتها التي تستغل هبوب الرياح فتخفف عن آلاهًا بعض أعبائها ، وكانت الرحلة ممتعة ، والجو بديعاً ، ولاحظ باسبارتو أثناءها على الفتاة بعض التبدل ، إذ بدأت تهتم الآن بنجاح السيد فوغ في جولته حول العالم وترميه بنظرات تتجاوز العرفان بالجميل إلى عاطفة أكثر عمقاً ، وكانت كلما تحادثت مع باسبارتو ، أجزل المديح لسيده ، ووصف لها كرمه وشجاعته ، وهو يعتقد اعتقاداً جازماً بنجاح رحلته ، خاصة بعد أن غادروا هذه البلاد الغريبة ، الصين واليابان وتوجهوا إلى بلاد يألفونها ، ويكفيهم الوصول إلى سان فرانسيسكو ، حتى يستقلوا منها القطار إلى نيويورك ، ثم يركبون السفينة عابرة الأطلسي إلى لندن .

وهكذا تنتهي هذه الرحلة حول العالم نهاية سعيدة ، وفي وقتها المحدد . والحق أن السيد فوغ قد واجه كل أنواع الصعاب وتغلب عليها ، وبعد تسعة أيام من مغادرته يوكوهاما يكون قد قطع نصف الكرة الأرضية . والواقع أن السفينة (الجنرال غرانت) اجتازت يوم 23 تشرين الثاني خط الطول المائة والأربعة والثمانين ، وابتهج باسبارتو لأن ساعته قد توافقت مع مسيرة الشمس ، ولكن انتابه القلق حين علم

أن السيد فوغ قد قضى حتى الآن 23 تشرين الثاني اثنين وخمسين يوماً من الثمانين يوماً المتاحة له ، وأنّ ما طمأنه أن قطع ثلثي الرحلة ، وأن الطريق المتبقي يسير بخط مستقيم لا يستطيع المفتش فيكس اعتراضه .

أين هو المفتش فيكس الآن ؟

نعم . إنه على متن الباخرة (الجنرال غرانت) تحديداً .

والواقع أنه حال وصوله إلى يوكوهاما سارع إلى القنصلية البريطانية ، حيث وجد مذكرة التوقيف التي ينتظرها منذ زمان طويل ، ولكنها غير صالحة بالطبع إلا في الأقاليم الخاضعة للسلطة البريطانية ، فعزم على ملاحقة فيلياس فوغ إلى نهاية الرحلة ، واستقل السفينة (الجنرال غرانت) .

وكم كانت دهشته عظيمة حين رأى باسبارتو على ظهر السفينة بملابسه اليابانية وأجنحته الملونة وأنفه بطول مترين !

فاختبأ في مقصورته فوراً لكي يتجنب مُساءلةً لا تحمد عقباها ، وقرر ألا يجذب إليه الأنظار ، ولكن سوء الحظ كان له بالمرصاد ، إذ صعد إلى ظهر السفينة يتنسم الهواء فالتقى وجهاً لوجه بباسبارتو الهمام !

هجم باسبارتو عليه ووجه إليه لكمات مباشرة بيمناه ، أكدت بلا ريب أن الملاكمة الفرنسية متفوقة على الملاكمة الإنكليزية ..

وانقسم المسافرون الأميركان فريقين ، كل يؤيد أحد المتلاكمين ، وبعد أن سقط فيكس منهكاً ، نهض فنادى باسبارتو وقال له بكل روح رياضية :

– هل شفيت غليلك ؟

– نعم .. حتى الآن .

– تعال .. لي معك حديث .

– أي حديث ؟

– حديث في مصلحة سيدك .. لقد هزمتني في الملاكمة ، هذا واضح ، ولكن اسمع ما أقول لك : لقد كنتُ خصم السيد فوغ ، ومن الآن سأدخل لعبته .

قال باسبارتو :

– آه .. آمنت الآن أنه رجل شريف ؟

قال فيكس :

– لا .. أبداً . ولكن أصغ إليّ : حينما كان السيد فوغ في الأقاليم البريطانية ، حاولتُ تأخيره حتى تصلني مذكرة التوقيف ، وقد فشلت . أما الآن والمذكرة معي ، فمن مصلحتي أن يعود إلى إنكلترا بأسرع ما يمكن ، وسوف أبذل جهدي لمساعدته على العودة .. هل فهمت

الآن ؟ كما أنه من مصلحتك أنت أن يعود إلى إنكلترا سريعاً لتعرف ما إذا كان رجلاً شريفاً أم لا ، هل نحن أصدقاء الآن ؟

قال باسبارتو :

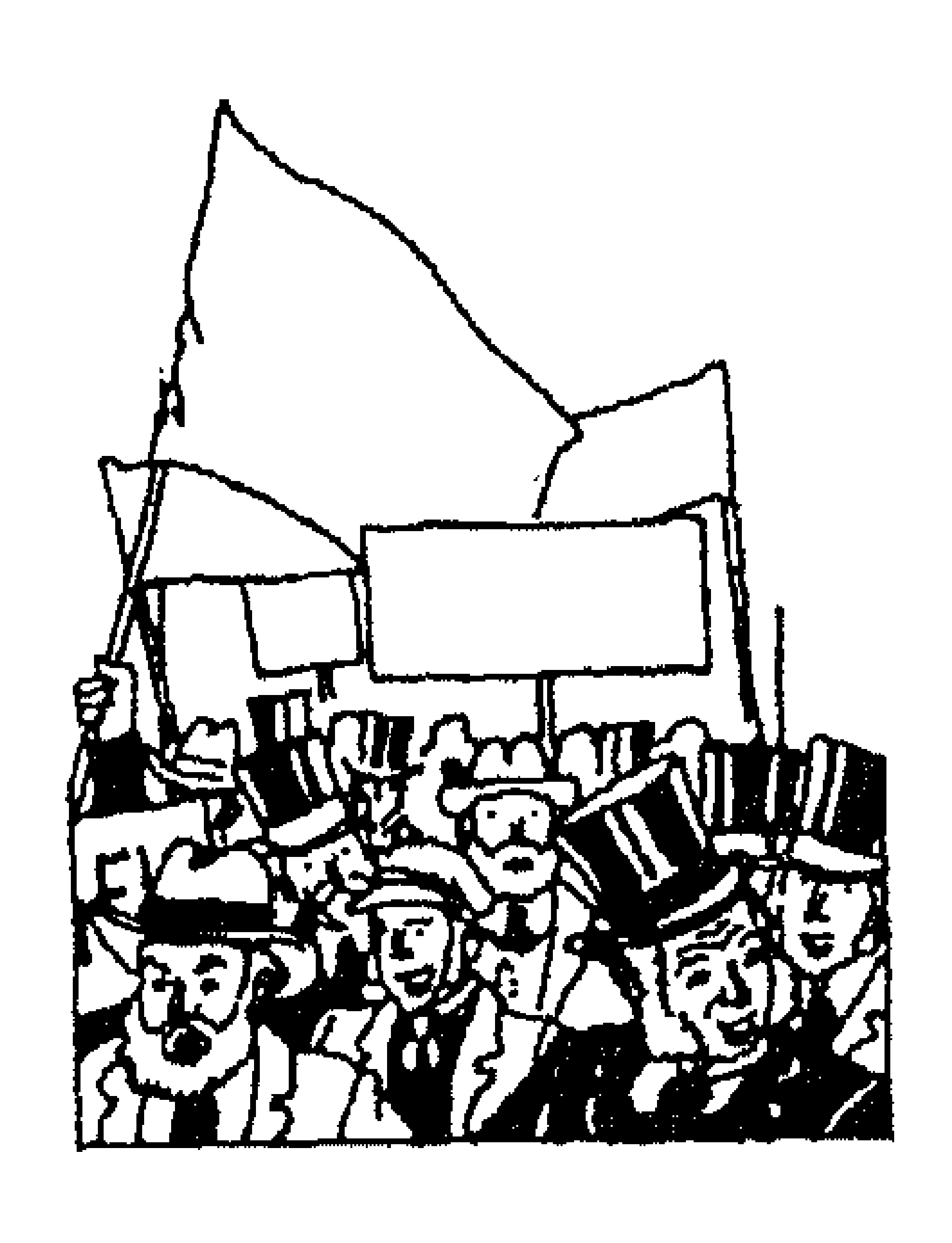
– لا .. لا يمكن أن نكون أصدقاء ، بل نبقى حلفاء على حذر ، وإذا لمحتُ منك خيانة كسرتُ عنقك .

– ليكن ..

بعد أحد عشر يوماً ، أي في 3 كانون الأول رست الباخرة (الجنرال غرانت) في ميناء سان فرانسيسكو ، وكان فيلياس فوغ في الموعد المحدد .

الفصل الرابع والعشرون

حيث نقدم لمحة موجزة عن سان فرانسيسكو يوم حملة انتخابية



كانت الساعة السابعة صباحاً حينما وطئت الأرض الأميركية أقدام فيلياس فوغ والفتاة وباسبارتو ، واستعلم السيد فوغ في الحال عن موعد القطار الذاهب إلى نيويورك ، فكان الساعة السادسة ، فيبقى أمام المسافرين نهار كامل يقضونه في المدينة ، فاستقلوا عربة إلى فندق (الأنترناشيونال) .

جلس باسبارتو إلى جانب السائق يتفرج على هذه المدينة الكبيرة بشوارعها الواسعة وفيلاتها الأنيقة ومخازنها العامرة ، وحيثما التفت وجد الناس يتدافعون مسرعين إلى أعمالهم ، وكانوا مزيجاً غريباً من الأميركان والأوربيين والهنود والصينيين . وتذكر باسبارتو معلوماته التاريخية عن هذه المدينة ، وتوقع أن يجدها تعج باللصوص ومشعلي الحرائق والباحثين عن الذهب والمجرمين الذين يتبادلون إطلاق الرصاص ، ولكن هذا زمان

قد انقضى ، فهي الآن مدينة تجارية مزدهرة . وحين وصل إلى الفندق حسب نفسه في إنكلترا .

وبعد تناول الغداء مضى السيد فوغ والفتاة إلى القنصلية البريطانية لكي يختم جواز سفره ، ورأى على الرصيف أمام الفندق باسبارتو يسأله إن كان من الأسلم شراء عدد من البنادق أو المسدسات في طريقهم إلى المحيط الهادي لأن الطريق غير آمنة والعصابات من الهنود الحمر تعترض سبيل المسافرين وتنتزع جلود رؤوسهم ، فلم ير السيد فوغ ضرورة لذلك ولكنه ترك له حرية التصرف .

ولم يتقدم فيلياس فوغ مائتي خطوة حتى قابل السيد فيكس بمحض المصادفة . وتظاهر فيكس بالدهشة ، فكيف اجتازا المحيط الهادي معاً ولم يلتقيا على ظهر السفينة ؟

وزعم له أنه سيكون من دواعي سروره مرافقته إلى أوروبا كما رافقه في رحلته من هونغ كونغ إلى يوكوهاما .

وردّ له السيد فوغ هذا الإطراء بأحسن منه ، فطلب منه فيكس السماح له بمرافقته في زيارة سان فرانسيسكو ، فقبل ذلك .

حينما كان السيد فوغ والفتاة والمفتش فيكس يتجولون في شوارع المدينة فوجئوا بالأصوات الصاخبة والهتافات واللافتات تملأ المكان والأصوات تهتف :

" عاش كامير فيلد .. ! عاش مانديبوي .. ! "

إنها حملة انتخابية ينظمها أنصار هذين الرجلين ، وخافوا أن يجرفهم التيار المتدفق من الناس فالتجؤوا إلى مدخل إحدى البنايات يرقبون ما يحدث أمامهم ، وبعد قليل اشتدت الحملة الانتخابية واشتبك المتظاهرون فتعالت الأصوات وطارت القبعات عن الرؤوس وسقط بعض المتظاهرين على الأرض وداستهم الأقدام .

قال فيكس :

– هذه مظاهرة .. ولعلهم يطالبون بقضية ذات أهمية عظيمة .

وتعلقت الفتاة بيد السيد فوغ وقد ازدادت حركة المتظاهرين هياجاً وتحولت اللافتات التي يحملونها إلى أسلحة فتاكة في المعركة الدائرة بينهم ، وطارت بعض الأحذية عالياً ، وسمعت عدة طلقات نارية .

واقترح عليهم فيكس الابتعاد إذ ساءت الأمور ، ويُخشى عليهم من تبعاتها ، وفجأة انطلقت من البناية التي التجؤوا إليها هتافات :

" عاش مانديبوي ! .. عاش مانديبوي .. ! "

والتحمت الجماعتان المؤيدة لمانديبوي والمناصرة لكامير فيلد ، وتدفق تيار بشري من الجانبين ووقع أصحابنا بين نارين .

كان المتظاهرون مسلحين بالعصي المغلفة بالرصاص والقبضات الحديدية ، ورفع أحدهم قبضته وسددها إلى السيد فوغ فتنحى عنها ،

فأصابت المفتش فيكس وطرحته أرضاً ، فتقدم السيد فوغ من الرجل وكان جهم الوجه ضخم الجثة وقال له :

– أيها (الينكي) الخبيث !

فأجابه الآخر :

– أيها الإنكليزي اللعين !

– سنلتقي !

– متى تشاء ، ما اسمك ؟

– فيلياس فوغ ، وأنت ؟

– الكولونيل ستامب بروكتر .

واجتازتهم موجة المتظاهرين ، ونهض فيكس من سقطته ممزق الثياب ، ولكنه لم يصب بضرر بالغ ، سوى أن معطفه قد انشطر إلى شطرين وتمزق بنطاله ، قال فيلياس فوغ بعد أن خرجوا من الزحام :

– شكرا لك يا سيد فيكس .

– لا بأس !

– تعال معي إذن !

– إلى أين ؟

– إلى مخزن الملابس .

والواقع أن ثياب السيد فوغ لم تكن أحسن حالاً من ثياب المفتش فيكس ، وبعد ساعة كانا يرتديان أفخر الثياب ، فتوجها إلى الفندق .

كان باسبارتو ينتظر سيده أمام الفندق مسلحاً بترسانة من المسدسات وعدد كبير من الطلقات ، وحين رأى فيكس قطّب جبينه ، ولما حكت الفتاة ما حدث تأكد له أنه حليف يمكن الاعتماد عليه .

بعد انتهاء العشاء انطلقوا إلى المحطة ، فسأل فيلياس فوغ السيد فيكس :

– ألم تر الكولونيل بروكتر ؟

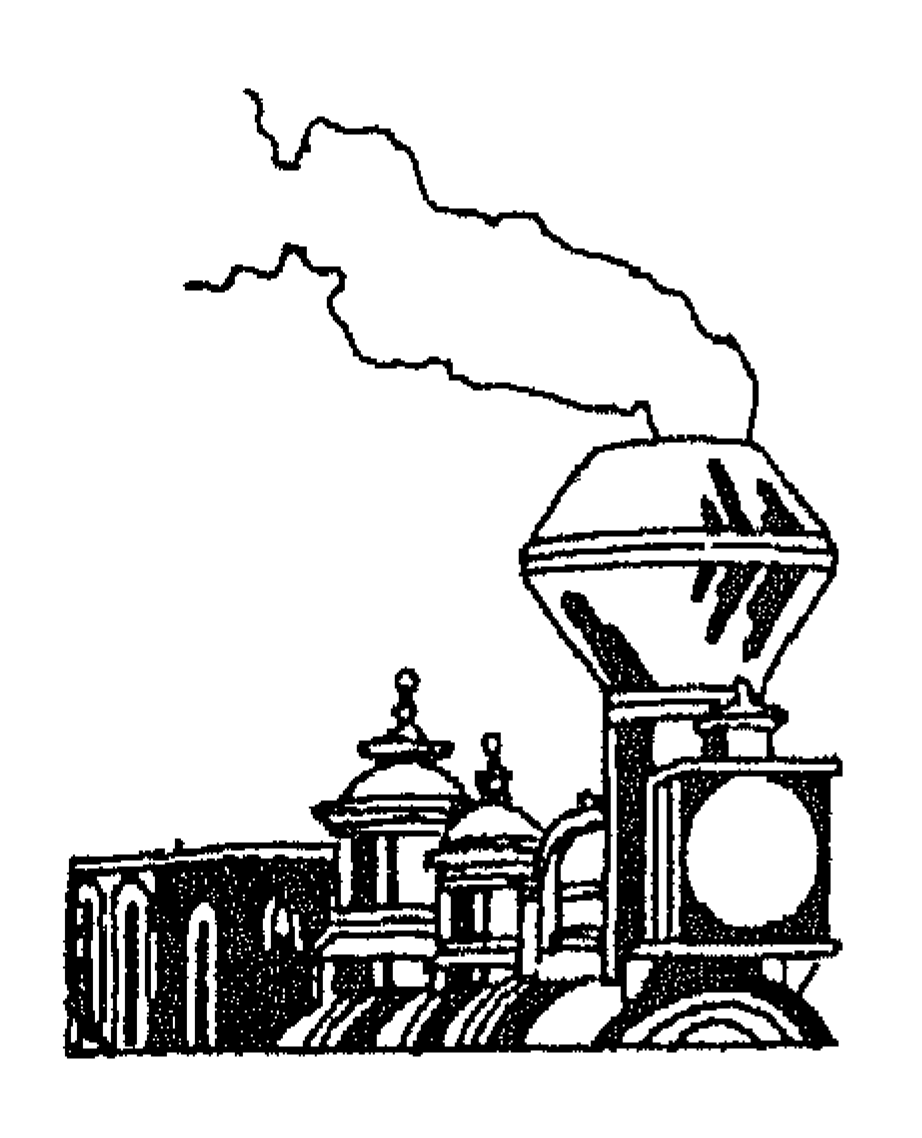
– لا .

– سأعود إلى أميركا لأبحث عنه ، فليس من اللائق أن يُعامل مواطن بريطاني بهذه الطريقة .

وحينما كان القطار منطلقاً علم فيكس من أحد المستخدمين أن الحملة الانتخابية كانت على منصب رئيس البلدية .

الفصل الخامس والعشرون

حينما استقلوا قطار الباسفيك السريع



يقول الأميركان : (من المحيط إلى المحيط) ويعنون بذلك الخط الحديدي الذي يربط نيويورك بسان فرانسيسكو ، وطوله ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون ميلاً بين المحيط الهادي وأوماها ، ويجتاز الخط الحديدي منطقة ما تزال آهلة بالهنود الحمر والحيوانات البرية .

وكانت الرحلة تستغرق قديماً ستة أشهر بين نيويورك وسان فرانسيسكو ، أما الآن فلا تستغرق سوى سبعة أيام ، ولعلها تتيح للسيد فوغ ركوب السفينة يوم 11 من نيويورك إلى ليفربول .

كانت العربة التي شغلها فيلياس فوغ وصحبه صندوقاً طويلاً يستقر على أربع عجلات ، ولا توجد في داخله مقصورات وإنما صفان طويلان من المقاعد المتقابلة وبينهما ممر طويل ، ويستطيع المسافرون التنقل بين العربات جميعاً ، ويتجول بينهم بائعو الصحف والكتب والمشروبات والمأكولات وعلب السكائر .

انطلق المسافرون من محطة (أوكلاند) الساعة السادسة مساء ، وكان الظلام قد أقبل والبرد شديد ينذر بسقوط الثلوج . ولم يكن القطار مسرعاً ، إذ لم يكن معدّل سرعته يتجاوز الأربعين كيلو متراً في الساعة ، نظراً لتوقفه المستمر في المحطات ، ولكنها سرعة كافية لقطع القارة في الوقت المحدد .

كان الصمت مخيماً على المسافرين ، وسرعان ما داهمهم النعاس . ولم يتبادل باسبارتو الحديث مع فيكس الجالس بجانبه ، إذ لم يعد بينهما شيء من الود القديم .

بعد ساعة من انطلاق القطار بدأ الثلج يتساقط خفيفاً ، ولكنه لا يعيق مسيرته لحسن الحظ ، ولا يُرى من النافذة سوى بساط أبيض يغطي الحقول وتهب الريح على دخان القطار فتنشر سحابة صفراء .

الساعة الثامنة دخل المضيف معلناً للركاب أنه قد حان وقت النوم ، وخلال دقائق تحولت المقصورات إلى مهاجع بعد أن انقلبت المقاعد إلى أسرّة ، وأسدلت الستائر لتفصل بين المسافرين ، كانت الفُرُش نظيفة بيضاء والوسائد مريحة ولم يكن عليهم سوى النوم ، والقطار يطوي المسافات عبر ولاية كاليفورنيا .

الساعة السابعة صباحاً ، اجتاز القطار صحراء نيفادا وخرج من محطة سيسكو . وبعد ساعة عاد المهجع إلى ما كان عليه عربةً عاديةً ، والمسافرون يتأملون هذه المناظر الجبلية الخلابة .

كان القطار يدور حول المرتفعات دون أن يخترقها أو يفسد طبيعة مناظرها . وحوالي الساعة التاسعة وصل إلى ولاية نيفادا فتبع مجرى نهر همبولد ولم يفارقه حتى غاب عنه .

بعد تناول الغداء ، جلس الجميع في المقصورة يتفرجون على المناظر الطبيعية من مروج فسيحة خضراء وجبال شامخة تغطي الأفق وأنهار وغدران تسيل بين المنحدرات .

كانت تتجمع أحياناً ، قطعان من (البيزون) وهو نوع من الثيران الأميركية . وتنتقل كأنها بحر من الرؤوس المرتفعة قرونها تثير الغبار وتعيق حركة القطار ويتوقف حتى ينتهي طوفان هذه الثيران ، وهذا ما حدث حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ، حينما اجتاز السكة الحديدية قطيع من البيزون عدده عشرة آلف رأس تقريباً ، فخفف القطار من سرعته محاولاً عبور هذا البحر من الثيران ، ولكنه اضطر إلى التوقف تماماً إذ استحال عليه ذلك .



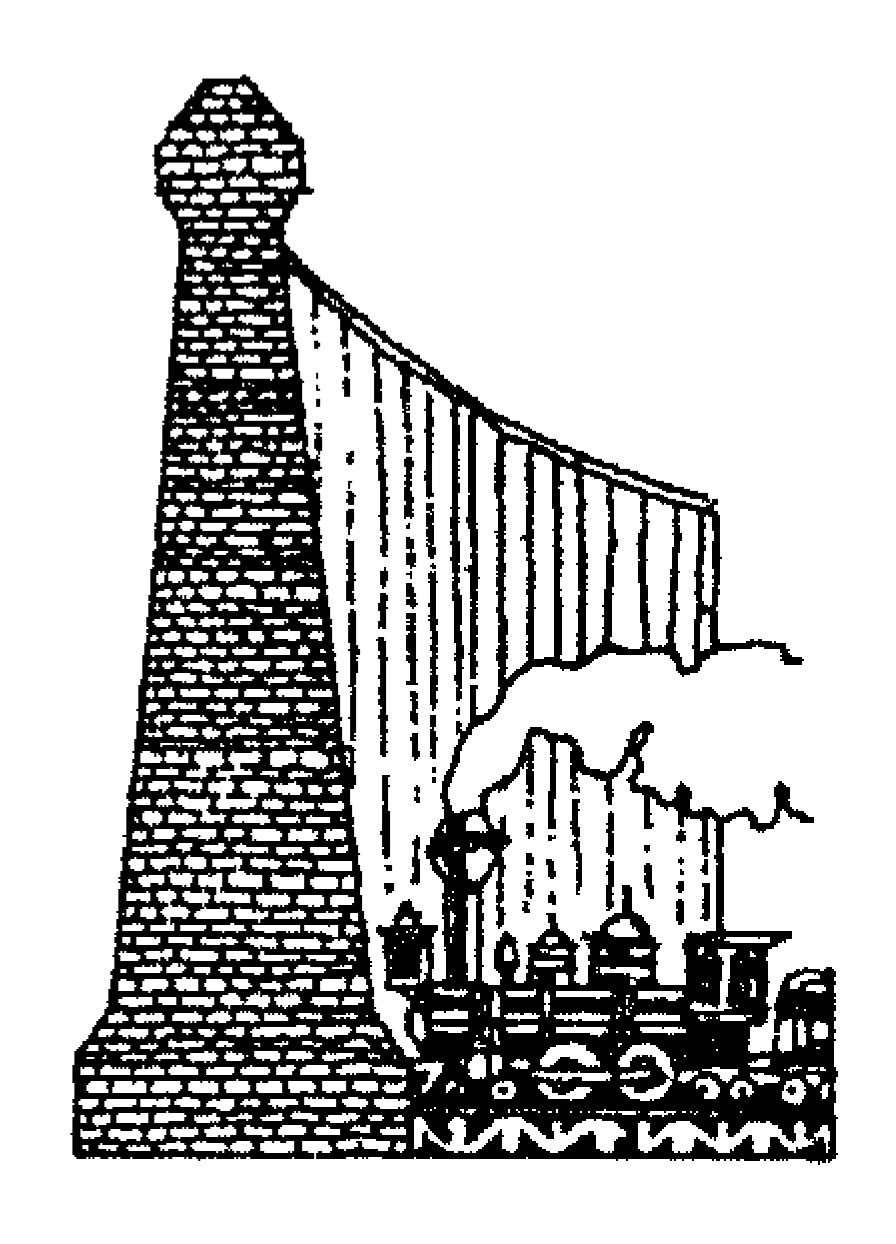
تجمع المسافرون أمام النوافذ يتفرجون على هذا البحر المتلاطم من الثيران التي ارتفع خوارها ، وهي أقوى وأضخم من الثيران في أوروبا ، وقد نفد صبر بعضهم وطلبوا من السائق أن يفعل شيئاً ، ولكن المسافر الوحيد الذي لم يتحرك من مقعده هو فيلياس فوغ ، إذ حافظ على هدوئه واتزانه وكأنه فيلسوف يتأمل عواقب الأمور .

وأما باسبارتو فكان هائجاً ، وبلغ من غضبه أن تمنى لو أفرغ ترسانة أسلحته في رؤوسها الضخمة .

لم يتوقف طوفان هذا القطيع إلا بعد هبوط الظلام حين استطاع القطار استئناف سيره .

الفصل السادس والعشرون

حينما لم يستطع باسبارتو أن يقنع الآخرين بفكرته الصائبة



من الغد كان القطار قد قطع تسعمائة ميل ، منذ مغادرته سان فرنسيسكو . وأصبحت المناظر من حولهم عامرة بالجبال والطرق وعرة المسالك ، وكثرت الأنهار ومسايل الأودية ، وازداد قلق باسبارتو كلما اقتربوا من هدفهم ، ولم يكن فيكس ليقلّ عنه قلقاً ، إذ كان مستعجلاً ليطأ بقدمه الأرض الإنكليزية .

كان القطار يطوي المسافات بانتظام ، وفي الساعة العاشرة والثلث مساء قطع القطار حدود (وايمنغ) محاذياً وادي (بيتر كريك) .

من الغد ، يوم 7 كانون الأول ، توقف القطار ربع ساعة في محطة (غرين ريفر) ، وكان الثلج قد تساقط خلال الليلة الماضية ممتزجاً بالمطر فلم يعوّق مسيرته .

قلق باسبارتو للتأخير المحتمل الذي قد تسببه الأحوال الجوية وهَاطل الثلوج التي قد تغطي السكة الحديدية .

وأما الفتاة فكانت جزعة أيضاً ولكن لسبب آخر ، فقد نزل بعض الركاب يتمشون على الرصيف ويتأملون المناظر الطبيعية ، فرأت فيهم ذلك الأميركي والكولونيل بروكتر الذي أساء إلى فيلياس فوغ أثناء الحملة الانتخابية في سان فرانسيسكو ، إذ كانت خائفة على ذلك الرجل الذي لم يعبر عن عواطفه نحوها ولكنه أحسن إليها وأنقذها من المحرقة ونعني به السيد فوغ ، ولعلها كانت تشعر في عمق فؤادها بشيء يتجاوز الاعتراف بالجميل لهذا الرجل ، ولكنها لم تتبينه تماما لما يلاقونه من الصعاب ، ولأن الكولونيل بروكتر في القطار نفسه كان من واجبها أن تمنع السيد فوغ من رؤية خصمه مهما كان الثمن .

انتهزت إغفاءة من السيد فوغ فأعلمت باسبارتو وفيكس بما رأت ، فأصابهما القلق أيضاً ، ولكن فيكس ابتكر حيلة يمنع بها السيد فوغ من مراقبة ما يجري من حوله ، فقال له :

– أليس من عادتك يا سيدي أن تقضي وقتك في لعب الورق ؟

– طبعاً ، ولكن أين الورق ، وأين اللاعبون ؟

فقال فيكس :

– هذا أمر سهل ، فسوف نشتري ورق لعب ، وأما اللاعبون فأظن السيدة ..

فقاطعته قائلة :

- طبعاً يا سيدي ، فهذا جزء من التربية الإنكليزية .

فقال فيكس :

- وأحسبني خصماً عنيداً في لعب الورق .

وابتهج فيلياس فوغ لاستئنافه لعبته المفضلة حتى في القطار .

وسارع باسبارتو لشراء ورق اللعب ، وانطلقت المنافسة ، وتبين أن الفتاة لاعبة ماهرة حتى أن السيد فوغ هنأها وهو الضنين بالمديح على أي إنسان ، وأما المفتش فيكس فلم يخيب ظن السيد فوغ إذ كان خصماً عنيداً كما قال .

وهمس باسبارتو لنفسه :

- الأمور على ما يرام ، ولن يتحرك من مكانه .

اقترب القطار من المناطق الجبلية ، وحين يجتازها بعد ساعات يصل إلى السهول الشاسعة التي تمتد حتى المحيط الأطلسي .

توقف الثلج عن الهطول ، وظل الجو قارساً .

بعد الغداء استأنف المتنافسون لعبهم ، ولكن القطار توقف فجأة بعد انطلاق عدة صفارات ، وأطل باسبارتو برأسه فلم يجد سبباً لتوقفه .

وخشيت الفتاة أن يدفع الفضول السيد فوغ إلى الهبوط مثلما فعل عدد من الركاب فيلتقي بالكولونيل بروكتر ، ولكنه - لحسن الحظ - ظل جالساً وطلب من باسبارتو أن يعرف سبب توقف القطار .

كان حوالي الأربعين راكباً بما فيهم الكولونيل بروكتر يجادلون السائق الواقف أمام إشارة حمراء تمنع السير ، واقترب منهم فسمع مدير المحطة يقول :

– لا .. لا يمكن العبور ، إن جسر (مدسين بو) متزعزع ولا يتحمّل ثقل القطار .

وهو جسر معلق على مسافة ميل من مكان توقف القطار ، وقد تقطعت منه بعض الكوابل كما قال حارس السكة .

اهتاج الكولونيل بروكتر وضرب الأرض بقدمه وصاح :

– لا يمكن أن نزرع جذورنا في هذا الثلج !

فأجابه حارث السكة :

– لقد أرسلنا برقية إلى أوماها ، وسوف يصل قطار من الجهة المقابلة خلال ست ساعات .

وصرخ باسبارتو :

– ست ساعات !

فقال حارس السكة :

– نعم ، وهي المدة نفسها للسير على الأقدام حتى المحطة .

ودمدم المسافرون :

– سيراً على الأقدام !



وسأل أحدُهم :

– ما المسافة بيننا وبين هذه المحطة ؟

– حوالي اثني عشر ميلاً .

فقال الكولونيل بروكتر :

– اثنا عشر ميلاً ، مشياً في الثلج ؟

وارتفعت أصوات المسافرين محتجة غاضبة ، وابتعد باسبارتو ليعلم سيده بهذا النبأ المحزن ، حينها قال السائق :

– أظن أن هناك وسيلة لعبور الجسر .

فسأله الكولونيل :

– ما هي ؟

فقال حارس السكة :

– أقول لك إن الجسر قد ينهار .

فقال السائق :

– ذلك أن ينطلق القطار بأقصى سرعته فيجتاز الجسر .

وتحمس بعض المسافرين لهذه الفكرة بما فيهم الكولونيل الذي كان أكبر المدافعين عنها ، وقال أحدهم :

– حظنا في العبور خمسون في المائة .

وزايد عليه آخر :

– ثمانون بالمائة .

وقد أعجبت الفكرة باسبارتو ولكنه وجدها أميركية جداً .

فتدخل قائلاً :

– قد تكون الفكرة جيدة ، ولكن ..

– بل ممتازة ، مع ثمانين بالمئة من إمكانية اجتيازها .

واستأنف باسبارتو :

– .. ولكن الحذر واجب .

فاعترض عليه الكولونيل :

– لا تتحدث عن الحذر ، إلا إذا كنت خائفاً .

فغضب باسبارتو وقال :

– سأكون أول من يصعد إلى القطار ولن أنزل منه .

وتمنى لو أنهم سمعوا اقتراحه ، وهو أن يعبر الركابُ الجسرَ على أقدامهم ثم يركبوا القطار من الجهة الأخرى ، فإذا سقط لم تحدث خسائر بينهم .

ولكن لم يصغ إلى نصيحته أحد .

كانت خطة السائق أن يعود بالقطار ميلاً إلى الوراء ، ثم ينطلق به إلى أقصى سرعته مثلما يتحفز الحيوان قبل الهجوم على فريسته .

حينئذٍ تطوع بعض الركاب لمساعدته على رمي الفحم الحجري في الموقد حتى انطلق كالريح وارتفعت سرعته إلى مائتي كيلو متر واجتاز الجسر بلمح البصر ، ولم يكد يصل إلى الضفة الأخرى حتى انهار الجسر وراءه .

الفصل السابع والعشرون

حيث نصادف أحداثاً لا تجري إلا على السكك الحديدية في أميركا



ذلك المساء اجتاز القطار حصن سوندرس ، وعَبَرَ مضيق شيان ووصل إلى مضيق إيفانز أعلى نقطة في مسيرته كلها ولم يبق أمامه سوى هبوط المرتفعات إلى السهول المؤدية إلى المحيط الأطلسي ، فقد قطع ألفاً وثلاثمائة واثنين وثمانين ميلاً في ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ويكفيه يوم وليلة للوصول إلى نيويورك وبذلك يتمكن السيد فوغ من ركوب السفينة المبحرة إلى ليفربول .

استأنف فيلياس فوغ وفيكس والفتاة لعب الورق ، وقد أظهر فيكس براعته في الأدوار الأولى ، ولكن فيلياس فوغ استدرجه وبين له أنه أمهر منه ، وبقي أمامهم دور أخير يلعب فيه فيلياس فوغ ، فاختار اللعب بالديناري ولكنه سمع صوتاً وراءه يقول :

– لو كنت مكانك للعبت السباتي !

ورفعوا رؤوسهم ليروا المتحدث ، فإذا هو الكولونيل بروكتر .

وعرف فيلياس فوغ والكولونيل أحدهما الآخر فوراً ، فقال الكولونيل :

– أنت هو الإنكليزي الذي يلعب الديناري ؟

– هذا أمر يتعلق بي ..

فأمسك الكولونيل الورقة التي رماها فيلياس فوغ وقال :

– يجب ألاّ تلعبها .. أنت غرّ لا تحسن اللعب .

فأجابه فيلياس فوغ وقد نهض :

– ولكنني ماهر في لعبة أخرى .

– حاول أن تبين لي هذه المهارة .

وشحب وجه الفتاة وتدخل فيكس بينهما ، فقال له السيد فوغ :

– أرجوك يا سيد فيكس ! هذه إهانة وجهها إليّ الكولونيل ولا بد أن يدفع ثمنها .

وقال الأميركي :

– متى تشاء وحيث تريد !

قال السيد فوغ :

– يا سيدي الكولونيل ! لقد عزمت بعد لقائنا في سان فرانسيسكو أن أعود إلى أميركا بعد الانتهاء من مشاريعي الحاضرة ، وسيكون موعدنا بعد ستة أشهر .

فقهقه الكولونيل وقال :

– ستة أشهر ؟ ولِمَ لا يكون بعد ست سنوات ؟ هل تتهرب من المبارزة ؟ فإما أن تكون الآن أو لا تكون أبداً !

فقال السيد فوغ :

– حسناً ، أين أنت ذاهب ؟ إلى نيويورك ؟

– لا يهمك ! هل تعرف (بلم كريك) ؟

– لا .

– إنها المحطة القادمة ، سنصلها بعد ساعة ، ويتوقف فيها القطار عشر دقائق ، نستطيع أن نتبادل أثناءها بعض الطلقات .

– حسناً ، سأتوقف في (بلم كريك) !

– ولن تغادرها أبداً !

– من يدري ؟

وجعل السيد فوغ يطمئن الفتاة التي كانت بين الموت والحياة ، ويؤكد لها أنْ لا خوف عليه من هذا المدّعي . ثم طلب من فيكس أن يكون شاهده في هذه المبارزة فقبل مكرهاً ، ثم استأنف السيد فوغ اللعب بهدوء تام ورمى ورقة الديناري .

بعد ساعة أعلن صفير القطار الوصول إلى (بلم كريك) .

فتوجه السيد فوغ ومعه شاهده المفتش فيكس يتبعهما باسبارتو حاملاً مسدسين ، وتقدم الكولونيل ومعه شاهده أيضاً ، وأرادوا النـــزول إلى الرصيف ، فمنعهم مدير المحطة لأن القطار متأخر ولن يتوقف في (بلم كريك) .

وقال له أحدهم :

– يجب أن نتبارز !

فقال مدير المحطة :

– آسف . كم تمنيت أن أتفرج عليكما ، ولكن الظروف لا تسمح لي ، وإن كنتما مصرَّين على المبارزة ، فلم لا تكون داخل القطار ؟

قال السيد فوغ :

– هذا يناسبني .

ووافقه الكولونيل .

طلب باسبارتو من ركاب العربة الأخيرة إخلاءها من أجل قضية تتعلق بالشرف الرفيع الذي لا يسلم من الأذى إلا إذا أريق على جوانبه الدم ، وعجب من أخلاق الأميركان الذين استجابوا لطلبه مبتهجين وكأن المبارزة أمر معتاد لديهم .

كانت قواعد المبارزة شديدة البساطة ، إذ أن العربة الطويلة الفسيحة تلائمها تماماً ، فيقف كل منهما في ناحية مسلحاً بمسدس من ست طلقات ، وحين يطلق سائق القطار صفارته يتبادلون إطلاق النار ، وبعد دقيقتين يفتح الشاهدان الباب لمن بقي منهما على قيد الحياة .

المسألة بسيطة جداً ، وكان قلب باسبارتو وفيكس عامراً بالأسى ، انتظروا صفارة القاطرة وسمعت أصوات الطلقات النارية والنداءات العالية ، ولدهشة الشاهدَين لم تصدر هذه الطلقات والنداءات من عربة المبارزة بل من مقدمة القطار .

لقد هاجمته قبيلة (السيو) من الهنود الحمر .

فأسرع الكولونيل والسيد فوغ فوراً إلى مقدمة القطار .

كانت قبيلة (السيو) من شجعان المحاربين ، ولم يكن هذا هجومهم الأول إذ اعتادوا أن يحاذوا القطار بخيولهم ثم يقفزوا منها إلى العربات ، وكانوا مسلحين بالبنادق جميعاً ، وتسلق مائة منهم العربات ، فكان المسافرون المسلحون يدافعون عن أنفسهم بطلقات الرصاص . هاجم الهنود الحمر القاطرة أولاً وضربوا السائق ومعاونه بفؤوسهم ، وحاول زعيمهم إيقاف القطار فأمسك بأول مفتاح وقعت عليه يده فانفتح البخار ، وبدلاً من أن يبطئ القطار اندفع بسرعة جنونية ، أما الذين صعدوا فوق أسطحة العربات فكانوا يقتحمون الأبواب

ويتصارعون رجلاً لرجل مع الركاب ، وتطايرت الأمتعة والحقائب من العربة التي كسروا بابها ، وكانت بعض العربات قد دعمها المسافرون فأصبحت كأنها قلاع حقيقية .

ومنذ بداية الهجوم أمسكت الفتاة بمسدس تدافع به عن نفسها بشجاعة ، وقد أنزلت زجاج النافذة وهي تطلق النار على المهاجمين ، وسقط العديد من المسافرين جرحى ، وكان لا بد لهذه المعركة أن تنتهي لصالح الهنود الحمر إلا إذا توقف القطار .

كان السائق الذي يدافع بجانبه السيد فوغ قد أصابته رصاصة ، فصرخ :

- سنهلك جميعاً إذا لم يتوقف القطار بعد خمس دقائق .

فقال له السيد فوغ وهو ينهض :

- سأوقفه .

فمنعه باسبارتو قائلاً :

- لا يا سيدي ! هذه مسألة تخصني !

ولم يتمكن السيد فوغ من الإمساك به فانزلق الفتى تحت القطار ، فاستخدم كل براعته لاعباً في السيرك ورجل إطفاء ، وبدأ يتسلل من تحت العربات دون أن يلمحه الهنود الحمر ، وما زال يزحف متمسكاً بالسلاسل ومقابض المكابح حتى وصل إلى المكباح الإضافي ، فشده بكل

قوته ، حتى تطاير الشرر من احتكاك العجلات بالسكة ، ثم توقف القطار على مسافة مئات الأمتار من حصن (كيرلي) .

سمع الجنود أصوات الرصاص فسارعوا إلى نجدة المسافرين ، وهرب الهنود الحمر جميعاً ، وحين وصل المسافرون إلى رصيف المحطة وبدؤوا في إسعاف الجرحى وإحصاء الركاب تبين لهم أن الأعداء قد اختطفوا ثلاثة فيهم ذلك الفرنسي الذي أنقذهم شجاعته .

الفصل الثامن والعشرون

حينما أدّى فيلياس فوغ واجبه



كان عدد الجرحى كبيراً ولكن لم يقتل أحد من المسافرين ، وأما الذي كانت جراحه خطيرة فهو الكولونيل بروكتر إذ أصابته رصاصة في حوضه فنقل إلى المحطة مع بقية المصابين .

لم تصب الفتاة بأذى وكذلك السيد فوغ وجرح فيكس في ذراعه جرحاً خفيفاً . وسالت دموع الفتاة غزيرة لفقد باسبارتو .

وقف السيد فوغ مكتوف اليدين ينظر أمامه نظرة ثابتة أدركت الفتاة مغزاها :

لئن كان خادمه أسيراً لدى الهنود الحمر أفليس من واجبه إنقاذه ؟

قال للفتاة بصوت حازم :

– سوف أجده حياً أو ميتاً .

فأمسكت بيده وبللتها بدموعها وقالت :

– يا سيدي .. أرجوك !

فقال :

– سأجده حياً إذا لم أضيّع دقيقة واحدة .

لقد كان السيد فوغ أمام خسارته وجهاً لوجه ، لأنه إذا تأخر يوماً واحداً فسوف يتخلف عن السفينة في نيويورك ويخسر رهانه نهائياً ، ولكنه لم يتردد أمام تأدية واجبه .

خاطب السيد فوغ قائد الحامية طالباً منه إرسال رجاله لملاحقة الهنود الحمر وانتزاع المخطوفين من أيديهم ، فأبى القائد أن يخاطر بأرواح جنوده لإنقاذهم . ولعل الهنود الحمر قد هربوا حتى الأركنساس أو ما وراءها ، فقال له فوغ :

– سأمضي وحدي إذن !

فهتف فيكس متعجباً :

– تمضي وحدك ؟

– وهل أتخلى عن رجل خاطر بحياته لإنقاذنا جميعاً ؟ سأمضي .

ودبّت الحمية في القائد فنادى بأعلى صوته :

– يالك من رجل شجاع ، أريد ثلاثين متطوعاً !

فتقدمت الفرقة كلها بخطوة رجل واحد ، فاختار منهم من أراد ، وجعل على رأس المتطوعة رقيباً متقدماً في السن .

وسأله فيكس :

– هل يمكنني مرافقتك يا سيدي ؟

– بكل سرور ، ولكن الأفضل أن تبقى مع هذه الفتاة فهي في حمايتك .

وشحب لون فيكس : فكيف يفترق عن هذا الرجل الذي لاحقه من السويس في مصر إلى هنا ؟ فنظر إليه نظرة ثابتة كأنما يريد أن يتعرف على حقيقة نواياه . ولكن فوغ ظل هادئاً رزيناً .

فقال فيكس :

– سأبقى هنا .

بعد دقائق أودع السيد فوغ حقيبة النقود لدى الفتاة وصافحها ، وانطلق مع الرقيب والفرقة العسكرية ، وأعلن عن مكافأة بمبلغ ألف جنيه إذا أنقذوا المخطوفين .

جلست الفتاة في غرفتها تفكر في هذا الرجل العظيم الذي يضحي بثروته ويجازف بحياته لأداء واجبه دون تردد ، فياله من بطل شجاع !

ولم يكن فيكس يفكر بالطريقة نفسها ، إذ ندم على تركه فوغ يمضي بعيداً عنه ، ولا ريب أن الخادم تآمر مع سيده ليهربا معاً في أميركا الواسعة .

مضت الساعات بطيئة وفيكس يتمشى جيئة وذهاباً كالوحش الحبيس .

وفكر بأن يلتحق بالفرقة لأن آثارها ما تزال مطبوعة على الثلوج ، ولكن حوالي الثالثة ظهراً ، تساقط الثلج غزيراً ومحا تلك الآثار ، وبقي فيكس تتقاذفه الهواجس . وبعد دقائق صفّر القطار الذي أعاده السائق إلى المحطة وتمنّى فيكس لو يركب فيه ويتخلى عن هذه القضية كلها ويعود إلى إنكلترا ، وكم كان سرور المسافرين عظيماً حين رأوا القاطرة تأخذ مكانها على رأس العربات ، وأصبح بإمكانهم متابعة هذه الرحلة التي قطعها هذا الحادث الأليم ، فتقدمت الفتاة من السائق وسألته :

– متى ستنطلق ؟

– الآن ، حالاً .

– وهل تترك المخطوفين وأصحابنا الذين ذهبوا للبحث عنهم ؟

– لا أستطيع وقف القطار أكثر من ذلك ، فقد تأخرت أربع ساعات .

– ومتى يمر القطار الآخر القادم من سان فرانسيسكو ؟

– غداً مساءً يا سيدتي ! اصعدي إذا أردت السفر .

فقالت بصوت حازم :

– لا .

– وسمع فيكس هذا الحوار وراودته نفسه مرة ثانية أن يقفز إلى القطار وأن يتخلى عن القضية كلها ، ولكنه قال لنفسه :

– لا . لن يقال إني هربت من المعركة !

نُقل الجرحى إلى العربات وفيهم الكولونيل بروكتر الذي ساءت حالته ، وأخذ المسافرون أماكنهم وصفرت القاطرة ثم ابتعدت أضواؤها الحمراء وبقي المفتش فيكس .

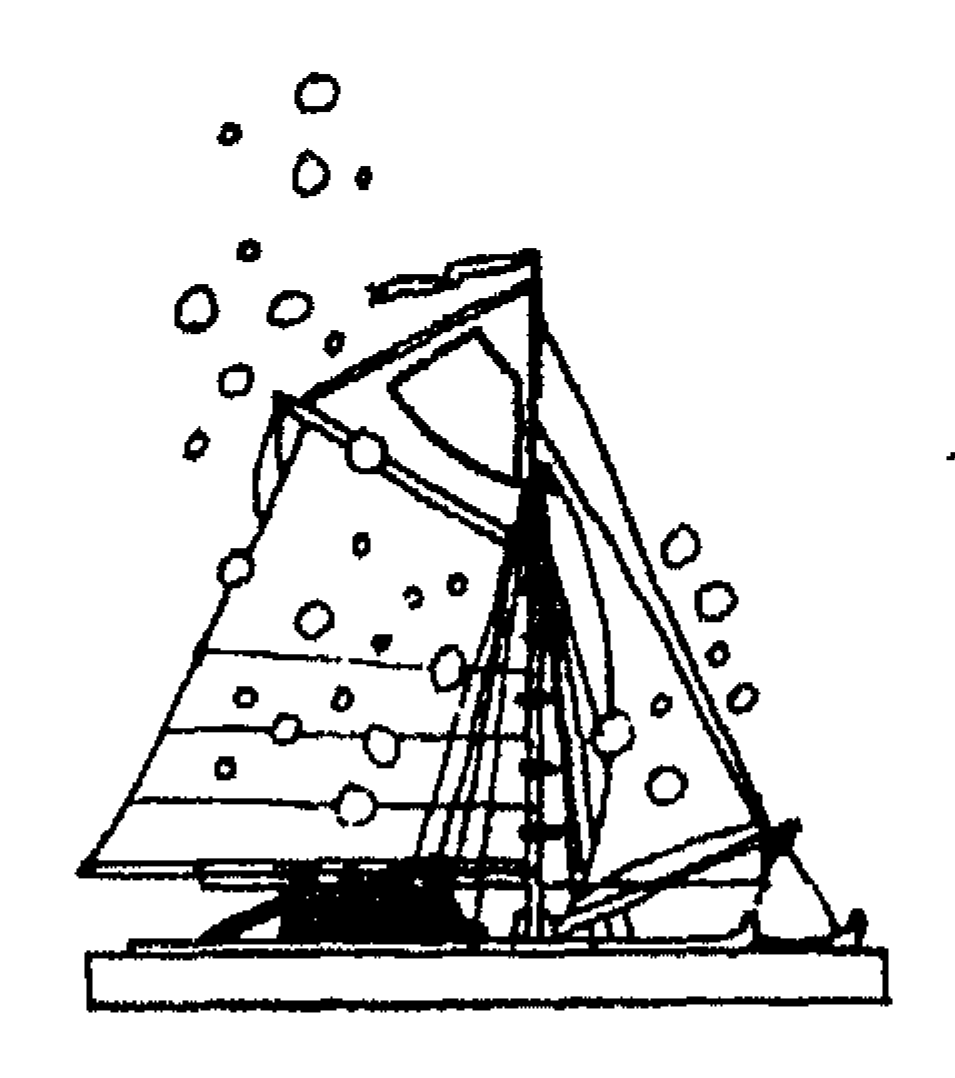
مرت الساعات واشتد البرد وعصفت الريح فأثارت زوبعة من الثلوج ، وأقبل الظلام .

كان قائد الحامية شديد القلق لأن الفرقة لم تعد من مهمتها .

طلع الفجر ثم ظهر قرص الشمس الأحمر في الأفق ، والضباب مخيم على المنطقة كلها ، حتى لقد انعدمت الرؤية إلى أبعد من ميلين ، وتساءل قائد الحامية عما إذا كان من واجبه إرسال فرقة ثانية تبحث عن الأولى ؟ وما كاد يرفع يده وينادي الضابط ليصدر إليه الأمر حتى سمع طلقة في الهواء ، واستنفرت الكتيبة كلها تتشوف القادمين ، وعلى مسافة نصف ميل ظهرت الفرقة تسير بخطاً منتظمة وعلى رأسها الرقيب والسيد فوغ وقد استنقذوا باسبارتو والمخطوفَين الآخرين من أيدي الهنود الحمر .

الفصل التاسع والعشرون

حينما اهتم المفتش فيكس أشد الاهتمام بمصالح فيلياس فوغ



ارتفعت هتافات الفرح بين القادمين والمستقبلين ، ووزع السيد فوغ الألفي جنيه على الجنود الذين قاتلوا ببسالة على مسافة عشرين ميلاً وأنقذوا المخطوفين .

قال باسبارتو لنفسه :

– إني أكلف سيدي المال الكثير !

ويصعب علينا معرفة ما كان يجري في دخيلة المفتش فيكس ، إذ كانت تتقاذفه المشاعر المتضاربة ، وأما الفتاة فقد أمسكت بيد السيد فوغ بين يديها ولم تقل شيئاً ، وبحث باسبارتو عن القطار وسأل عنه ، فقال له فيكس :

– لقد مضى .

وسأله السيد فوغ :

– ومتى يمر القطار التالي ؟

– هذا المساء .

تقدم فيكس من فوغ وحدّق في عينيه ، وسأله :

– هل أنت مستعجل فعلاً ؟

– بلا شك .

– ولولا أن رحلتك قطعها هجوم الهنود الحمر لكنت في نيويورك يوم 11 قبل الساعة التاسعة مساءً ، موعد إبحار السفينة من نيويورك إلى ليفربول .

– تماماً ، متقدماً اثنتي عشرة ساعة عن موعد سفرها .

– معنى ذلك أنك تأخرت ثماني ساعات فقط ، فهل تريد استدراك التأخير ؟

– سيراً على الأقدام ؟

– لا ، ولكن بالزحافة ، إنها زحافة شراعية ، وقد عرض علي رجل هذه الوسيلة من وسائل السفر .

وقف السيد فوغ يتفحص هذه الزحافة الشراعية ، فلم يجدها تختلف كثيراً عن السفينة الشراعية ، فهي قاعدة صلبة واسعة من الخشب مقامة على مزالق وقد انتصب في وسطها صار يحمل شراعاً كبيراً ، وهي تتسع لخمسة أو ستة أشخاص ، وفي مؤخرتها شيء شبيه بدفّة السفينة توجهها .

إنها زحافة تنــزلق على سطح الثلج والجليد في فصل الشتاء ، وهي سريعة جداً ، ينتقل بها الناس بين القرى .

وتمت الصفقة في الحال ، بين السيد فوغ والسيد (مودغ) صاحب الزحافة ، فالريح تهب قوية من جهة الغرب ، مندفعة بسرعة عظيمة ، والثلج متماسك صلب . ووعد السيد مودغ بأن يوصلهم خلال ساعات إلى محطة أوماها ومنها ينطلق القطار إلى نيويورك ويمكن بذلك استدراك التأخير .

أبت الفتاة أن تفترق عن السيد فوغ حين اقترح عليها أن تلحق به بصحبة باسبارتو ثم تسافر إلى أوروبا في وسيلة أكثر أمناً .

جلس المسافرون الأربعة في الزحافة ، وأحكموا الأغطية فوقهم ، وانطلقت بهم في سرعة ثمانين كيلو متراً في الساعة .

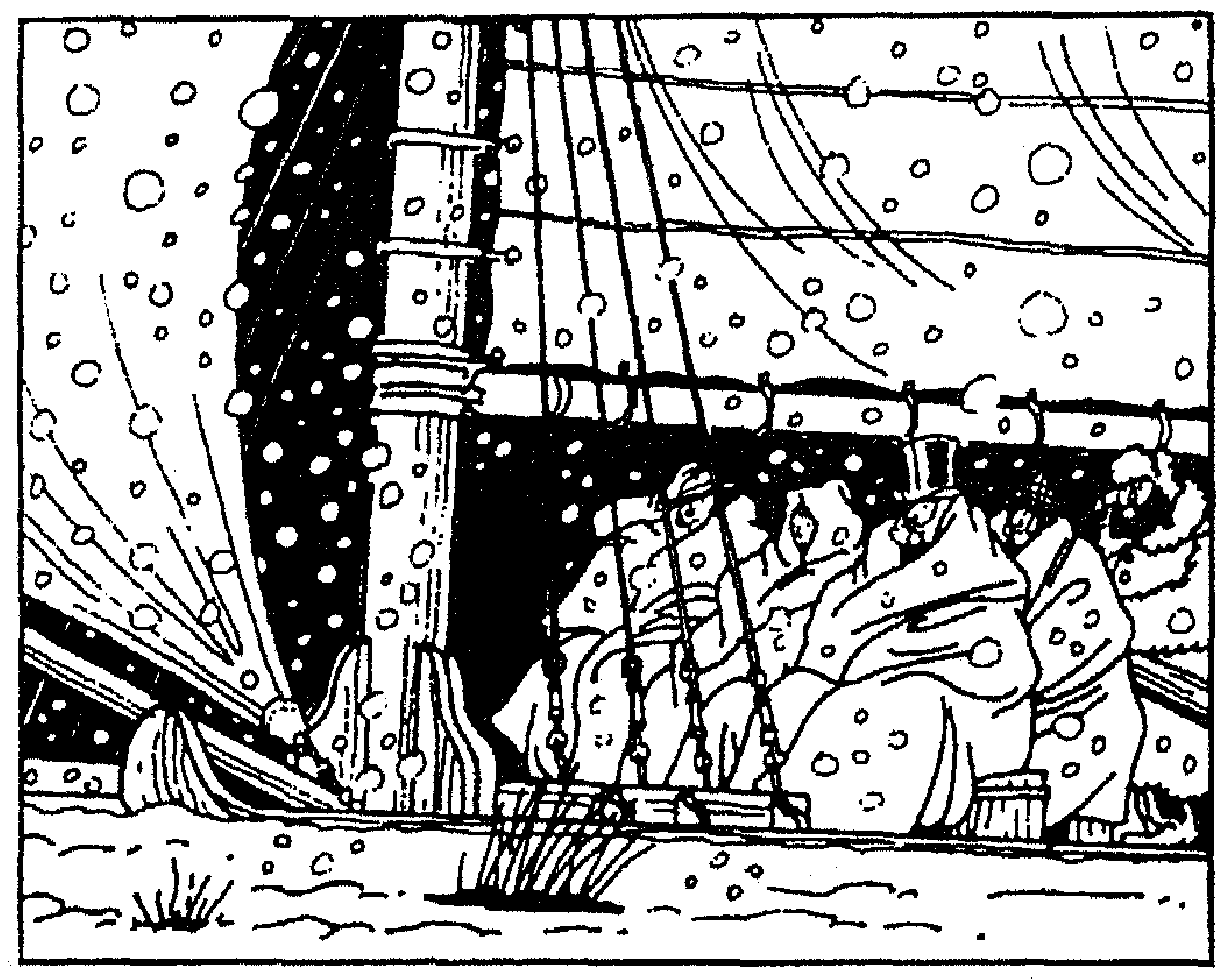
يالها من رحلة ! كان المسافرون متلاصقين كتلة واحدة ، والريح تعصف فوق رؤوسهم ولا يستطيعون النطق بكلمة واحدة ، والشراع الكبير يملؤه الهواء فيدفع الزحافة كالسهم وسط السهول .

كانت المسافة ما بين حصن (كيرني) و (أوماها) مائة ميل على الأكثر ، وإذا استمرت الريح على هذه القوة فسوف يقطعونها في خمس ساعات ، وقال السيد مودغ :

– إذا لم ينكسر شيء وصلنا سالمين .

وكان من مصلحة مودغ أن يصل في الوقت المحدد ، لأن السيد فوغ لم يتخلَّ عن أسلوبه في تقديم المكافأة الجزيلة .

اندفعت الزحافة كأنها تطير على سطح الأرض بجناحين هائلين ، ولم تهدأ الريح ، بل على العكس ازدادت هبوباً .



وارتفعت الألحان تعزفها الريح على أوتار الأشرعة ، فطرب السيد فوغ لهذه الموسيقا وقال للسيد مودغ :

– إن أوتار زحافتك مضبوطة على مقام " الصَّبا " .

وكانت هذه الجملة الوحيدة التي نطق بها طول الرحلة .

وعاد الأمل إلى باسبارتو ، وكاد يشد على يد المفتش فيكس الذي اكتشف وسيلة النقل هذه ، ولكنه عَدَل عن رأيه .

لقد ترسخ في قلب باسبارتو حبّه لسيده الذي ضحى بوقته وماله ، وجازف بحياته لكي ينقذه من أيدي الهنود الحمر ، ولن ينسى فضله عليه أبداً .

تتابعت السهول وراء السهول والمسافات متشابهة ، تظهر فيها من حين إلى حين شجرة عرقها رياح الشتاء من أوراقها وألبستها ثوب البياض .

وقد يحلق في السماء سرب طيور ، أو تبرز من وراء التلال عصابة ذئاب جائعة تجري وراء الزحافة طامعة ، ولكنها تعجز عن ملاحقتها ، وطلقات مسدس باسبارتو تحذرها من معاودة الكرة فتقف لاهثة خائبة الرجاء .

منتصف النهار أشار السيد مودغ إلى بعض التلال التي تبشّر باقترابهم من (بلات ريفر) ، وكان واثقاً أن عشرين ميلاً تفصلهم عن أوماها .

لم تقترب الساعة الواحدة حتى ترك القبطان الماهر دفّة زحافته وأنزل شراعها وتركها تنطلق بهدوء حتى توقفت ، فهبط وهو يقول :

– لقد وصلنا .

أجزل السيد فوغ المكافأة لقبطان هذه السفينة الأرضية ، واندفع الجميع إلى محطة أوماها .

كان القطار موشكاً على الرحيل ، فقفزوا إليه دون أن يشتروا بطاقات ، وقد عزموا أن يدفعوا للجابي في القطار .

انطلق القطار يطوي المسافات في ظلام الليل ، ووصلوا إلى شيكاغو يوم 10 كانون الأول ، الساعة الرابعة ، وتفصلها عن نيويورك تسعمائة ميل . فاستقلوا قطاراً آخر اجتاز بهم ولايات أنديانا وأوهيو وبنسلفانيا ونيوجرسي ، ووصل بهم أخيراً يوم 11 كانون الأول إلى نيويورك الساعة الحادية عشرة والربع مساءً .

أسرعوا إلى الميناء ليجدوا أن السفينة (شاينا) المتوجهة إلى ليفربول قد أبحرت منذ خمس وأربعين دقيقة .

الفصل الثلاثون

حينما دخل فيلياس فوغ معركة ضارية ، مع سوء الحظ



كان يبدو أن السفينة (شاينا) إذ أبحرت حملت معها آخر أمل لفيلياس فوغ .

إن أول سفينة مغادرة إلى أوروبا لا تنطلق قبل **14** كانون الأول . وكذلك شركات النقل الألمانية المتوجهة إلى ميناء الهافر وهذا لا يخدم فيلياس فوغ أبداً . وأما الشركات الناقلة الأخرى فأكثرها يسير بالأشرعة أو تنقل المهاجرين ، وهي بطيئة لا جدوى منها ، وقد تصفح كتيّب مواعيد الرحلات للشركات كلها فلم يجد سفينة مسافرة في وقت يلائمه .

انهار باسبارتو إذ تخلفوا خمساً وأربعين دقيقة عن السفينة المسافرة إلى ليفربول ، وكاد يموت قهراً ، وكل ذلك بسببه ، وحين استعرض في ذهنه مختلف المراحل التي قطعوها تبين له أنه قد أعاق سيده عن إنجاز رحلته ، ودفعه إلى إنفاق مبالغ طائلة من أجله وتسبب في خسارته هذا الرهان .

ولام نفسه متناسياً أنه قد أنقذ حياة عدد من الناس بما فيهم السيد فيلياس فوغ نفسه والفتاة البارثية أيضاً .

وأما السيد فوغ فاكتفى بالقول :

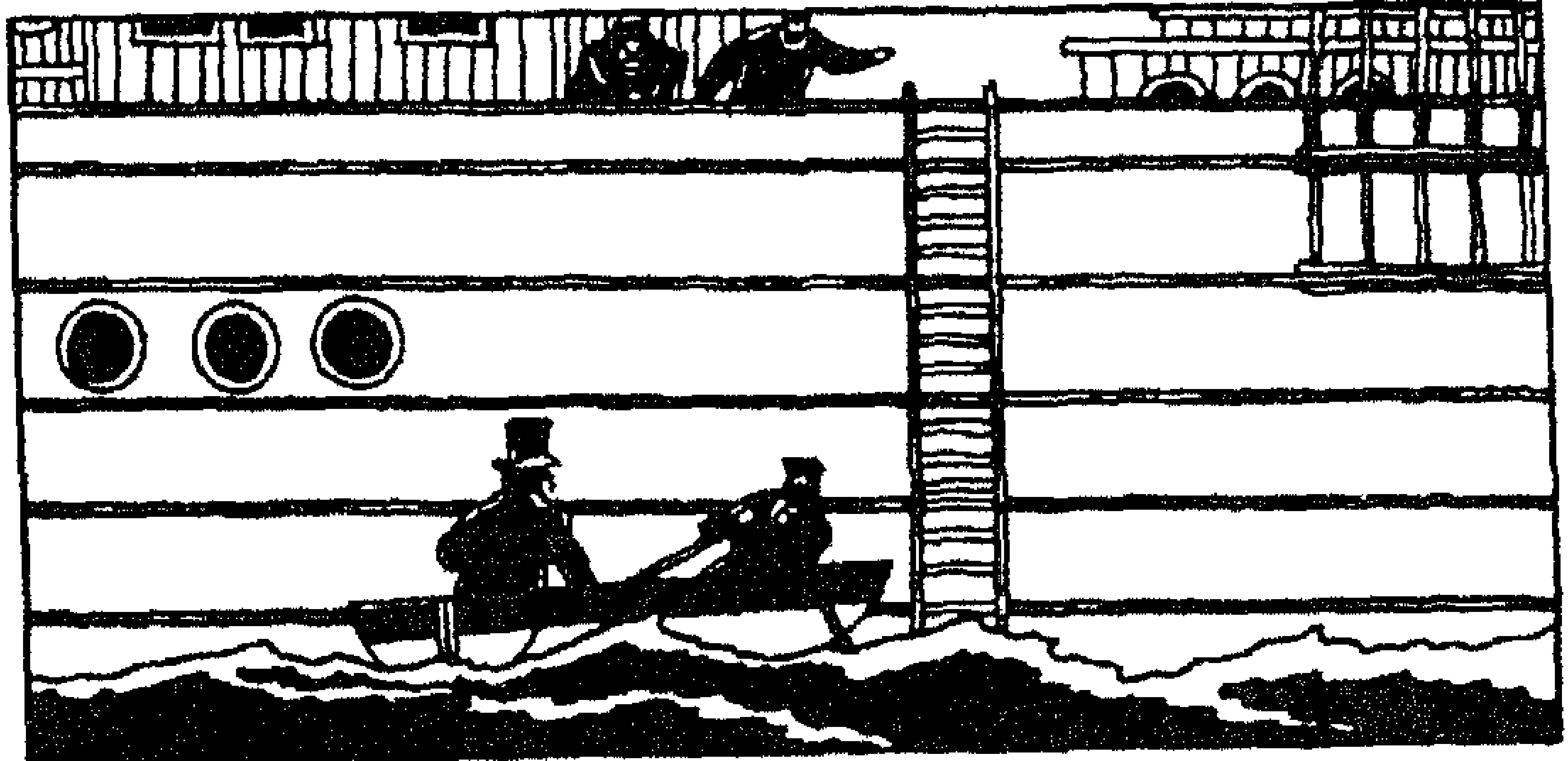
– سنرى غداً ، تعالوا !

وعبروا نهر الهيدسون واستقلوا عربة نقلتهم إلى أحد الفنادق .

فنام هادئاً ولم يذق رفاقه طعم النوم .

ما بين الغد ، يوم 12 كانون الأول الساعة السابعة صباحاً وبين 21 كانون الأول الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة مساءً ما تزال تسعة أيام وثلاث عشرة ساعة وخمس وأربعون دقيقة ، تلك هي المدة المتبقية على انتهاء الرهان .

غادر فيلياس فوغ الفندق وطلب من باسبارتو أن يوعز إلى الفتاة بالاستعداد للرحيل ، ومضى إلى سواحل الهيدسون حيث البواخر راسية في الميناء ، ولكنها لم تناسبه كلها ، وكاد يفشل في محاولته الأخيرة ، وإذا به يلمح بعيداً عن الأرصفة سفينة يتصاعد الدخان من مداخنها ، مما يشير إلى استعدادها للرحيل ، فاستأجر قارباً وطلب من صاحبه أن ينقله إلى السفينة (هنرييتا) – وهذا اسمها – تلك السفينة المصنوعة من الحديد ، ولكن مقصوراتها وحواجزها من الخشب الصلد .



صعد السيد فوغ إلى متنها ، وطلب مقابلة القبطان ، فجاءه فوراً .

كان رجلاً في الخمسين ، أحد ذئاب البحار ، بعينيه الواسعتين وبشرته التي لوحتها الشمس وشعره الأحمر ، ولم يكن يبدو عليه أنه سهل المعاملة .

وسأله فوغ :

– أين القبطان ؟

– أنا هو .

– إني فيلياس فوغ من لندن .

– وأنا أندرو سبيدي من كارديف .

– متى تسافر ؟

– بعد ساعة .

– وما هي وجهتك ؟

– بوردو في فرنسا .

– وما هي حمولتك ؟

– لا شيء ، سوى بعض الحجارة لكي تتوازن السفينة .

– وهل تنقل المسافرين ؟

– مطلقاً .. لا أنقل المسافرين .

– وهل سفينتك سريعة ؟

– ما بين إحدى عشرة واثني عشرة عقدة . (هنرييتا) سفينة مشهورة .

– هل تنقلني إلى ليفربول أنا وثلاثة أشخاص ؟

– ليفربول ؟ ولم لا أنقلك إلى الصين .

– قلت لك ليفربول .

– لا .

– لا ؟

– إني ذاهب إلى بوردو ولن أتحوّل عنها ..

– وإذا استأجرت منك الباخرة ؟

– لا .

– وإذا اشتريتها ؟

– لا .

ولم يتزحزح فيلياس فوغ على الرغم من خطورة الحالة ، لقد كانت الأوراق النقدية تتغلب على كل المصاعب التي واجهها حتى الآن . ولكنها أخفقت هذه المرة ، فقال :

– هل تنقلني إلى بوردو ؟

– لا . ولو أعطيتني مائة دولار .

– أعرض عليك ألفي دولار .

– لكل شخص ؟

– لكل شخص .

– وأنتم أربعة ؟

– نعم ، أربعة .

وحك القبطان رأسه متردداً ، إذ أن ثمانية آلاف دولار مبلغ لا يستهان به ، خاصة وأنه لا يبدل وجهته ، وهو لا يحمل سوى الحجارة لتوازن السفينة !

وقال أخيراً :

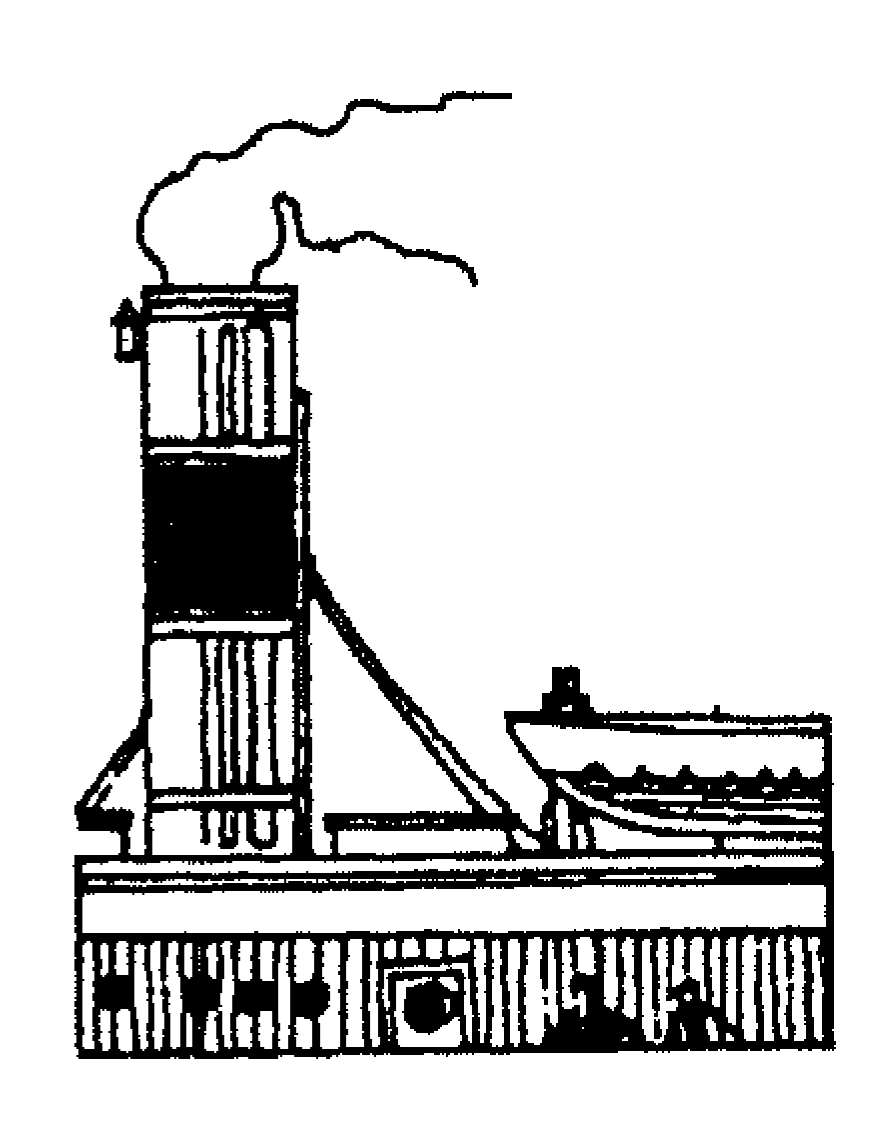
– سأنطلق الساعة التاسعة إذا كنت حاضراً أنت وأصحابك ..

فأجابه السيد فوغ :

– سنكون على متن السفينة .

الفصل الواحد والثلاثون

حينما تبين أن فيلياس فوغ على مستوى الأحداث



بعد ساعتين كانت السفينة (هنرييتا) خارجة من الميناء متجهة نحو الشرق .

في اليوم التالي 13 كانون الأول صعد رجل إلى سطح السفينة يتفقد حالتها وقد يُظنُّ أنه القبطان سبيدي من كارديف ..

لا .. إنه فيلياس فوغ . أما القبطان فقد كان مسجوناً في إحدى المقصورات وهو يصرخ مطالباً بإطلاق سراحه ، إن ما حدث بسيط للغاية ، إذ أن السيد فوغ يريد التوجه إلى ليفربول ، ولم يطاوعه القبطان ، فَقبِلَ أن يمضي إلى بوردو . ولكن بعد ثلاثين ساعة من انطلاق السفينة ، دفع ما يكفي من الأوراق النقدية لكي يستميل طاقم البحارة كله إلى جانبه ، فتمردوا على القبطان وحبسوه . وهكذا أخذ السيد فوغ مكان القبطان سبيدي في قيادة السفينة (هنرييتا) إلى ليفربول ،

وإنّ ما أذهل الجميع هو مهارة السيد فوغ في القيادة وكأنه بحار بل من أفضل البحارة ، كيف ستنتهي هذه المغامرة ؟ هذا ما سنعرفه لاحقاً .

كانت الفتاة على ثقة تامة من براعة السيد فوغ فلم يظهر عليها القلق ، وأما فيكس فقد ذُهل ، ووجد باسبارتو القضية مضحكة وتستأهل المجازفة .

والآن .. لنفترض أن السفينة (هنرييتا) قد أبحرت حتى ليفربول وقطعت الثلاثة آلاف ميل دون حادث خلال تسعة أيام ، فإن هذه القضية ستضاف إلى ملف الاتهام في سرقة مصرف إنكلترا وستكون وخيمة العواقب .

في الأيام الأولى سارت الأمور على ما يرام ، فالطقس جميل والبحر هادئ والسفينة تسير كأنها عابرة المحيطات .

ولا تسل عن فرحة باسبارتو الذي عقد صداقات مع عدد من البحارة ، وأسعفه حسه الاجتماعي للتقرب إليهم جميعاً .

والرجل الوحيد الذي لم يكلمه هو فيكس ، والحق أن فيكس لم يكن يفهم ما يجري ، فاحتلال السفينة ورشوة بحارتها وتغيير اتجاهها وقيادتها كقبطان ماهر .. كل ذلك جعله يتساءل عن سبب إسراع فيلياس فوغ للوصول إلى إنكلترا ، إلا إذا تحول فيلياس فوغ من السرقة إلى القرصنة ، فاختطف هذه السفينة ليمضي بها إلى مكان آمن ،

وترسخت هذه الفكرة السخيفة في ذهن فيكس ، حتى بدأ يأسف لانسياقه في هذه المغامرة ، أما القبطان فكان ينذر ويتوعد من سجنه . وقد كُلّف باسبارتو بأن يحمل إليه طعامه ، فكان شديد الحذر منه ، وأما السيد فوغ فكان يتصرف وكأنما لا قبطان على ظهر السفينة سواه .

ويوم 13 كانون الأول ساءت الأحوال الجوية وارتفعت الأمواج ، فظهرت براعة السيد فوغ في قيادة السفينة ، إذ كان لا يواجه الموج بل ينحرف عنه ولا يعرضها للخطر .

ويوم 16 كانون الأول ، انقضت خمسة وسبعون يوماً على مغادرته لندن . فهدأت العواصف ولكن البرد قارس ، ولم تكن هنريتا متأخرة عن موعدها إذ أنها قطعت نصف المسافة المطلوبة .

ذلك اليوم صعد الميكانيكي إلى ظهر السفينة وتحدث مع السيد فوغ حديثاً جاداً أثار الفزع في نفس باسبارتو فشحب لونه .

وسأل السيد فوغ الميكانيكي :

– هل أنت واثق مما تقول ؟

– طبعاً يا سيدي ، لأن مخزوننا من الفحم الحجري يكفينا للسفر من نيويورك إلى بوردو بسرعة معتدلة ، ولا يكفي للوصول إلى ليفربول إذا كانت المواقد مشتعلة كلها والسفينة بأقصى سرعتها .

فقال السيد فوغ :

– سنتدبر الأمر .

وكأنما غاب باسبارتو عن الوعي ، فهل سينقصهم الفحم الحجري ؟ والله لئن استطاع سيده الخروج من هذه الورطة ، فإنه رجل عبقري حقاً !

في المساء ، استدعى السيد فوغ الميكانيكي وقد عزم على أمر ، وقال له :

– أشعل المواقد كلها بأقصى طاقتها حتى تستهلك مخزونك من الفحم .

وبعد دقيقة كانت مداخن (هنرييتا) تنفث الدخان الأسود عالياً في السماء . وانطلقت السفينة مسرعة ، ولكن بعد يومين أي 18 منه جاءه الميكانيكي يعلمه أن الفحم سينفد خلال النهار ، فقال له :

– لا تتوقف عن إحراقه .

ولم يفهم باسبارتو شيئاً .

وحوالي الظهر استدعاه سيده وطلب منه أن يأتيه بالقبطان سبيدي ، فكأنما طلب من الشاب أن يفتح القفص لنمر هائج ، فاتجه إلى العنبر وفوض أمره إلى الله .

وحدث ما توقعه ، فبعد دقيقة انطلقت من العنبر قذيفة تصاحبها اللعنات ، إنها القبطان سبيدي يصرخ وهو يكاد يموت قهراً .

وسأل :

– أين نحن ؟

فقال له السيد فوغ بهدوء :

– على مسافة سبعمائة وسبعين ميلاً من ليفربول .

وصرخ سبيدي :

– أيها القبطان .. يا زبد البحر !

– لقد استدعيتك لأعرض عليك ..

– يا سارق السفن !

– شراء سفينتك .

فقفز في الهواء وصرخ :

– كلا .. وألف كلا ، أيها الشيطان اللعين .

فقال له السيد فوغ بصوت متزن :

– وذلك لأني عزمت على إحراق سفينتك .

وهجم عليه سبيدي وهو يزأر :

– تحرق سفينتي .. تحرق سفينتي ؟

– حتماً .. سأحرق أجزاءها العليا المصنوعة من الخشب .

فازرقّ وجه القبطان من الغيظ وقال :

– تحرق سفينة ثمنها خمسون ألف دولار ؟

فأمسك السيد فوغ رزمة من الأوراق المالية وقال :

– هذه ستون ألف دولار .

فكان لهذه العبارة وقع السحر على القبطان ، وهل يكون أميركياً ولا تلعب بعواطفه رؤية ستين ألف دولار ؟ وسرعان ما تناسى القبطان هياجه وهدأ . لأن عمر سفينته عشرون عاماً وهذه صفقة رابحة .

فقال بلهجة هادئة :

– ولكن هيكلها الحديدي يبقى لي ..

– الهيكل والآلات يا سيدي . اتفقنا ؟

– اتفقنا .

واختفت رزمة الأوراق المالية في جيب سبيدي بعد أن عدّها جيداً ، وابيضّ وجه باسبارتو من التأثر ، وأما فيكس فكادت تصيبه جلطة دموية ، إذ أن فوغ أنفق عشرين ألف جنيه منذ انطلاقهم !

فهل بقي شيء من المال المسروق من مصرف إنكلترا ؟

التفت السيد فوغ إلى القبطان سبيدي وقال :

– هل السفينة ملكي الآن ؟

– طبعاً ، من العنابر إلى الصواري ، كل شيء مصنوع من الخشب هو ملكك .

– حسناً . أصدر الأمر الآن بتحطيم المقصورات الداخلية لنشعلها في المواقد !

ونفذ ما أمر به ، فتعاون البحارة على تحطيم كل ما هو مصنوع من الخشب في العنابر والممرات والحواجز ورموها في المواقد ، فسابقت السفينة الرياح .

ويوم 19 كانون الأول جاء دور الصواري والمقصورات ، فانهال عليها البحارة ضرباً بالفؤوس ، وكان باسبارتو يشتغل كعشرة رجال وقد سيطرت عليه نشوة التحطيم .

ومن الغد ، 20 كانون الأول انهال الرجال على السطح وحجرة القيادة ولم يبق منها شيء .

أمام السيد فوغ أربع وعشرون ساعة للوصول إلى لندن ، وهم ما يزالون بجانب السواحل الإيرلندية ، فقال له القبطان سبيدي وقد بدأ يهتم بقضية الرهان :

– كل شيء ضدك يا سيدي ، فنحن الآن قبالة (كوينـــز تاون).

– وهل يمكننا دخول الميناء ؟

– حين ارتفاع المد بعد ثلاث ساعات .

– لننتظر إذن !

حوالي الساعة الواحدة صباحاً ، كان فيلياس فوغ وأصحابه على الرصيف ، وقد خلفوا وراءهم السفينة (هنرييتا) مقشورة كلوح من الخشب ، وركب فيلياس ورفاقه قطار البريد ، وبذلك استطاع توفير الاثنتي عشرة ساعة التي كانت تنقصه ليصل إلى لندن في الموعد .

وصلوا إلى دبلن فجراً ، فاستقلوا المركب المغادر إلى ليفربول . ويوم 21 كانون الأول كان فيلياس وأصحابه على رصيف ليفربول على مسيرة ست ساعات من لندن .

في تلك اللحظة ، تقدم المفتش فيكس من السيد فيلياس فوغ ، ووضع يده على كتفه وهو يبسط أمامه مذكرة التوقيف ، وقال :

– هل أنت السيد فيلياس فوغ ؟

– نعم !

– أنت موقوف باسم صاحبة الجلالة .

الفصل الثاني والثلاثون

حينما احتاج فيلياس فوغ إلى خمس دقائق حاسمة



كان فيلياس فوغ في سجن الجمارك في ليفربول ، حيث سيقضي الليلة بانتظار ترحيله إلى لندن .

لحظة التوقيف حاول باسبارتو أن يهجم على فيكس ، ولكنه صدّه عنه . وفزعت الفتاة لما يحدث أمامها ولم تفهم شيئاً ، بل أحست بالسخط واليأس ، وأما فيكس فكان واجبه يقتضي منه القبض على المتهم بسرقة مصرف إنكلترا ، ويترك للعدالة أمر الفصل في قضيته ، وخطرت لباسبارتو فكرة مريعة وهي : أنه المسؤول الحقيقي عن هذه الكارثة ، فلو أنه أطلع السيد فوغ على حقيقة فيكس ونواياه تجاهه لاستطاع تدبر أمره ، ولما نقله من أميركا إلى إنكلترا على نفقته لكي يقبض عليه حين وطئت قدماه الأرض الإنكليزية . وانتابته نوبة من الندم وضرب رأسه بالجدار وشد شعره ، وظلت الفتاة جالسة في مبنى الجمارك على الرغم من البرد القارس تنتظر ما يكون من أمر السيد فوغ .

أما السيد فوغ الذي أفسدت عليه هذه الحادثة مشاريعه وخسر الرهان فقد كان جالساً على المقعد الخشبي جامد الملامح ، ولا نعرف ما إذا كانت هذه الكارثة قد نالت من عزيمته ، وهل أشعلت بداخله غضباً كامناً يتجمع لكي ينفجر في لحظة ما ؟

مهما يكن الأمر ، فقد وضع ساعة يده أمامه ، وجعل يتأمل انتقال عقربها بهدوء تام ، وكانت وضعيته سيئة للغاية لأنه إن كان رجلاً شريفاً فقد أفلس ، وإن كان سارقاً فقد قُبض عليه ، فهل يجرب حظه ويهرب من سجنه لكسب الرهان ؟

قد يُظنّ ذلك لأنه بدأ يتجول في الغرفة متفحصاً الباب والقضبان الحديدية التي تغطي النوافذ ، ثم جلس وأخرج من جيبه المفكرة التي يدون فيها مسيرة رحلته ، وكتب قبل السطر الأخير :

" 21 كانون الأول ، ليفربول "

وأضاف :

" اليوم الثمانون ، الساعة الحادية عشرة ، وأربعين دقيقة صباحاً " ، وانتظر .

ودقت ساعة مبنى الجمارك فعرف أن ساعته متقدمة عليها دقيقتين .

ساعتان !

لنفرض أنه ركب الآن القطار السريع فسوف يصل إلى لندن في الوقت المحدد . وتغضنت جبهته قليلاً !

الساعة الثانية وثلاثاً وثلاثين دقيقة سمع ضجيجاً وصوت أبواب تفتح ، وكان صوت فيكس وباسبارتو .. والتمعت عينا فيلياس فوغ لحظة .

انفتح الباب واندفع إليه باسبارتو والفتاة وفيكس الذي كان يلهث وشعره أشعث ولا يكاد يقوى على الكلام ثم تمتم :

– العفو .. العفو يا سيدي .. هذا تشابه .. السارق أوقف منذ ثلاثة أيام .. أنت حر طليق .

فيلياس فوغ حر ! فتقدم من المفتش وحدق فيه ، ثم قام بالحركة السريعة الوحيدة التي ارتكبها في حياته فجمع قبضتيه معاً وأهوى بهما على وجه المفتش .

وهتف باسبارتو :

– أحسنت .. ضربة رائعة ، هذا ما نسميه الضربة القاضية !

وسقط فيكس على الأرض ولم ينطق بكلمة إذ نال ما يستحقه .

قال السيد فوغ :

– هيا .. إلى المحطة !

في المحطة سأل عن القطار السريع المتوجه إلى لندن ، فقيل له إنه قد غادر منذ خمس وثلاثين دقيقة ، فطلب قطاراً خاصاً ، وكانت الساعة الثانية وأربعين دقيقة ، ولم يغادر القطار الخاص المحطة إلا في الساعة الثالثة لأسباب تقنية ، فركبه الثلاثة ، واستخدم فيلياس فوغ طريقته الخاصة إذ وعد السائق بمكافأة جزيلة . ومضى القطار بأقصى سرعته متجهاً إلى لندن .

حين وصلوا إلى المحطة كانت ساعات لندن كلها تشير إلى التاسعة إلاّ عشر دقائق .

لقد أكمل السيد فيلياس فوغ رحلته حول العالم ، ولكنه وصل متأخراً بخمس دقائق .

وقد خسر الرهان .

الفصل الثالث والثلاثون

حينما أطاع باسبارتو فوراً الأمر الذي أصدره سيده



من الغد ، لم يكن أي شيء قد تغير في بيت السيد فوغ الواقع في شارع سافيرو ، فقد ظلت الأبواب والنوافذ مغلقة ، وبعد أن نزلوا من القطار أمر السيد فوغ خادمه بشراء بعض المواد الغذائية ورجع إلى بيته .

وقد تلقى بكل ثبات تلك الكارثة التي نزلت به : إنها الإفلاس ! وذلك خطأ هذا المفتش الغبي فيكس ، لقد واجه السيد فوغ آلاف المخاطر وتغلب على الصعاب ولم تهن عزيمته أمام الكوارث ، واستطاع أن يقوم ببعض أعمال الإحسان أثناء ذلك كله ، وها هو ذا الآن يخسر الرهان من أجل خمس دقائق !

ولم يبق معه من المبلغ المالي الكبير الذي أخذه سوى الشيء اليسير ، وأما الثمانون ألف جنيه المودعة لدى الإخوة بارينغ فهو مدين بها لزملائه في نادي الإصلاح . وبعد أن أنفق ما أنفق كان واثقاً من كسب الرهان ، لا طمعاً في المال ، ولكن حباً في التغلب على الصعاب ،

ولكنه حين خسر الرهان أفلس على كل الجبهات ، ولم يعد لديه ما يعيش به وهو يعرف ما عليه أن يفعله ، وقد أعدّ للفتاة غرفة في منـــزله ، وكانت تشعر باليأس لأنها سمعته يهيىء نفسه لخطط لا تحمد عقابها ، كذلك كان باسبارتو الذي يرقب سيده سراً ، وهو خائف عليه . لكن أول شيء فعله باسبارتو ، أن صعد إلى غرفته وأطفأ النور الذي نسيه منذ ثمانين يوماً ، وكانت الفاتورة باهظة ! ثم جلس أمام غرفة سيده يحرسها كالكلب الأمين .

من الغد ناداه السيد فوغ وطلب منه إعداد وجبة الفطور والاعتذار للفتاة لأنه انشغل عنها .

في المساء تقدم باسبارتو من سيده وهو يبكي :

– اغفر لي يا سيدي .. إنها غلطتي .

فقال له السيد فوغ :

– لا تعذب نفسك يا باسبارتو ليست غلطة أحد .

وطلب منه أن يستأذن الفتاة في الصعود إليه لأنه راغب في رؤيتها ، فمضى باسبارتو إليها وقال : هل تستطيعين التأثير في تفكير سيدي ؟

فقالت : ومتى تأثر السيد فوغ بمشاعري ؟ وهل استطاع أن يفهم ما يجيش به صدري ؟ لا ينبغي أن نتركه لحظة واحدة ، وتقول إنه يريد أن يراني هذا المساء ؟

— نعم ، ولعله سيحدثك عن وضعيتك في إنكلترا .

في ذلك اليوم ، يوم الأحد بدا بيت السيد فوغ كأنه مهجور ، ولم يغادر هو غرفته ، فصعد إليه باسبارتو وهبط مئات المرات ، وكان يتنصت على بابه وينظر من ثقب القفل ، ويجد من حقه أن يفعل ذلك إشفاقاً على سيده وخوفاً .

وحين لا يستطيع التغلب على ألمه يطرق باب الفتاة ويجلس في زاوية أمامها لعله يجد لديها بعض العزاء .

حوالي الساعة السابعة والنصف مساء طلب السيد فوغ من الفتاة مقابلته ، وبعد لحظات كانا على انفراد .



جلس السيد فوغ على كرسي بقرب المدفأة في مواجهة الفتاة . ولم يظهر على وجهه أي تعبير عما في قلبه ، وكان السيد فوغ بعد عودته الشخص نفسه قبل سفره ، فرفع إليها عينيه وقال :

– اصفحي عني لأني جئت بك إلى إنكلترا .

– أنا ؟ يا سيد فوغ ..

واشتد خفقان قلبها .

– اسمحي لي أن أنهي كلامي ، حينما أنقذتك من الخطر المحيق بك في الهند ، كان هدفي أن أؤمن لك حياة كريمة في إنكلترا بما أملكه من مال ولكني أفلست الآن !

– أعرف هذا ، وأطلب منك الصفح عني لأني أخترتك عن الوصول إلى هدفك .. وتسببت في إفلاسك .

– ولكنك لا تستطيعين البقاء في الهند لأن هؤلاء المتعصبين سيجدونك إن عاجلاً أو آجلاً .

فقالت له :

– ألم تكتف بإنقاذي من الموت حتى عزمت على تأمين مستقبلي ؟

– طبعاً . ولكن الظروف انقلبت عليّ واسمحي لي أن أهبك ما بقي معي .

– وأنت ماذا ستفعل ؟

– سأفعل ما ينبغي فعله .

– لا أظن أن البؤس ينال شخصاً مثلك ، فأصدقاؤك ..

– ليس لي أصدقاء .

– وأقرباؤك ..

– ليس لي أقرباء .

– إني مشفقة عليك ، لأن الوحدة شيء قاتل ، ولكن البؤس يحتمله اثنان ، وذلك خير من أن يواجهه واحد بمفرده .

– هكذا يقولون .

فنهضت الفتاة ، ومدت يدها إلى السيد فوغ وقالت :

– ألا تحتاج إلى قريبة وصديقة ؟ ألا تريدني زوجة لك ؟

حينئذٍ نهض السيد فوغ والتمع في عينيه ضياء وارتجفت شفتاه ، وأغلق عينيه برهة ثم فتحهما وقال ببساطة :

– أحبك .. وأقسم لك بكل مقدس ، وإني لأضع ما أملك بين يديك . فحملت يده إلى قلبها .

ودق الجرس يدعو باسبارتو ، فحضر في الحال لأنه كان يتسمّع على الباب ، وأشرقت على وجهه ابتسامة وهو يرى فيلياس فوغ ممسكاً بيد الفتاة .

وسأله السيد فوغ :

– أليس الوقت متأخراً لإحضار القس صموئيل ويلسون من كنيسة ماري لوبون ؟

فهتف باسبارتو :

– ليس الوقت متأخراً أبداً ، فالساعة الثامنة وخمس دقائق .

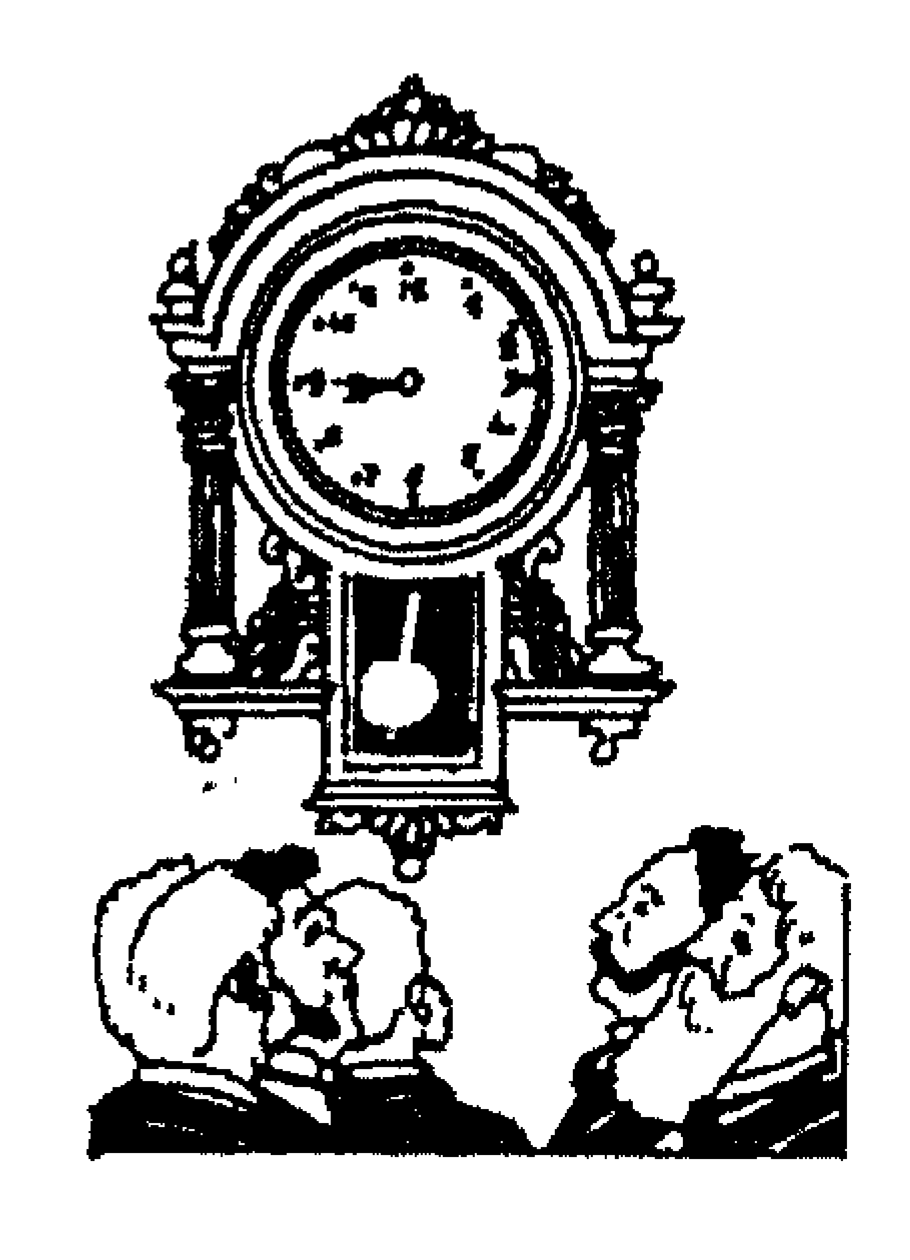
فقالت الفتاة مبتسمة :

– إلى الغد الاثنين إذن !

وخرج باسبارتو يجري .

الفصل الرابع والثلاثون

حينما يكسب فيلياس فوغ الرهان ومعه مكافأة



من المناسب أن نذكر هنا صدى القبض يوم 17 كانون الأول على السارق الحقيقي لمصرف إنكلترا وهو المدعو جيمس سترند .

قبل ثلاثة أيام كان فيلياس فوغ مجرماً تلاحقه الشرطة ، وهو الآن أشرف الرجال بعد أن أنهى جولته حول العالم بحسابات رياضية مضبوطة ، وعاد اسمه إلى الظهور .

أما زملاؤه في نادي الإصلاح فقد أمضوا الأيام الثلاثة هذه قلقين ، أين فيلياس فوغ ؟ فليس لديهم أخبار عنه ، ولا عن المفتش فيكس . ويوم 17 كانون الأول ، حينما قبض على السارق جيمس سترند كان قد انقضى ست وسبعون يوماً على انطلاق السيد فوغ في رحلته ، ويوم 21 كانون الأول ، الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة ، هل سيظهر في قاعة نادي الإصلاح بما عرف عنه من دقة في المواعيد ؟

ولا نستطيع أن نصف الحماسة التي عصفت بجماعة المراهنين ، فقد هبطت أسهم فيلياس فوغ وكأنه حصان خاسر جاء آخر الخيول ، ولا أحد يراهن عليه إلا خمسة مقابل مائة ، سوى اللورد ألبيرمال الشيخ المشلول إذ راهن عليه مائة بالمائة .

مساء السبت توافد الناس إلى موقع نادي الإصلاح وتعطلت حركة السير . وكلما اقتربت الساعة المحددة توفزت أعصاب الحاضرين . ذلك المساء اجتمع في النادي زملاء فيلياس فوغ في الرهان .

وحين أعلنت ساعة النادي الثامنة والنصف ، نهض أندرو ستيوارت وقال :

– أيها السادة ! بعد ربع ساعة ستنقضي المدة المحددة بيننا وبين السيد فيلياس فوغ .

وسأل توماس فلانغن :

– متى وصل آخر قطار من ليفربول ؟

فأجابه رالف :

– السابعة وثلاثاً وعشرين دقيقة ، ويصل القطار التالي منتصف الليل تماماً .

قال صمويل فالنتن :

– لن نقول شيئاً الآن . فأنتم تعلمون أن صاحبنا مهووس بالنظام ودقته مشهورة ، فهو لا يصل قبل الموعد ولا بعده ، ولن أدهش إذا رأيته هنا في آخر لحظة .

فقال أندرو ستيوارت :

– لا أصدق أنه قد وصل .

واستأنف فلانغن :

– إن خطة فيلياس فوغ مخالفة للعقل ، ودقته لا تشفع له إذا تأخر ، ويكفيه أن يتأخر بضع ساعات ليخسر الرهان .

فأكد جون سوليفان :

– لقد خسر يا سادة ! لقد خسر . فأنتم تعلمون أن السفينة (شاينا) آخر سفينة يمكنه أن يستقلها من نيويورك إلى ليفربول قد وصلت بالأمس ، ولا يوجد اسمه في قائمة المسافرين ، ولئن حالفه الحظ فإنه ما يزال في أميركا ، وأقدّر التأخير عن الموعد المحدد بعشرين يوماً ، وأظن أن اللورد ألبيرمال سوف يخسر الخمسة آلاف جنيه التي راهن عليها .

قال رالف :

– هذا أكيد .

قال أندرو ستيوارت :

– ما تزال هناك خمس دقائق .

كان الزملاء يتبادلون النظرات ، وكأن نبضات قلوبهم قد تسارعت ، ولكنهم لم يشاؤوا أن يظهر هذا عليهم ، فاقترح عليهم صمويل فالنتن أن يجلسوا إلى طاولة اللعب وينتظروا .

أشّر عقربا الساعة إلى الثامنة واثنتين وأربعين دقيقة .

وأعلن توماس فلانغن بعد قليل :

– الثامنة وثلاثاً وأربعين دقيقة .

وساد الصمت ، ولكن ارتفعت من الخارج همهمة الناس ، وتحرك عقرب الساعة فقال جون سوليفان : الثامنة وأربعاً وأربعين دقيقة .

لم تبق سوى دقيقة واحدة ، وبدؤوا يعدون الثواني : ثلاثين ثانية ولم يحضر أحد . أربعين ثانية ولم يحضر أحد . خمسين ثانية ولم يحضر أحد . وحين عدّوا خمسين وثانيتين ، سمعت أصوات تصفيق ، وهتافات في الخارج .

ونهض الزملاء .

وفي تمام الثانية السابعة والخمسين فُتح باب القاعة الكبرى ولم يكد العقرب يصل إلى الثانية الستين حتى دخل السيد فيلياس فوغ يتبعه جمهور هائج اقتحم مدخل النادي وقال السيد فوغ بصوت رزين :

– هأنذا أيها السادة !

الفصل الخامس والثلاثون

حينما تبين أن فيلياس فوغ لم يربح شيئا من جولته حول العالم سوى السعادة



نعم . إنه فيلياس فوغ .



نتذكر أنه في الساعة الثامنة وخمس دقائق مساء ، بعد وصول المسافرين إلى لندن انطلق باسبارتو إلى القس صمويل ويلسون يعلمه برغبة سيده في الزواج غداً . ولم يكن القس هناك فانتظره حوالي عشرين دقيقة .

كانت الساعة الثامنة وخمساً وثلاثين دقيقة حينما خرج من بيت القس ، ولكن بأي حال ؟ شعره يتطاير في الهواء وهو يجري .. يجري .. كما لم يجر في حياته أبداً ، يدفع المارة ويسابق العربات حتى وصل إلى البيت في أقل من ثلاث دقائق وهو يلهث ، وصعد إلى غرفة السيد فوغ وهو غير قادر على الكلام .

سأله السيد فوغ :

– ماذا حدث ؟

– سيدي .. لا يوجد زواج .. مستحيل !

– مستحيل ؟

– مستحيل غداً .

– ولماذا ؟

– لأنه يوم الأحد .

فقال فوغ :

– بل يوم الاثنين .

– لا .. اليوم سبت .

– السبت ؟ مستحيل .

– لا . يا سيدي .. إنه السبت ، وقد وصلنا أربعاً وعشرين ساعة قبل الموعد . ولكن لم يبق لدينا سوى عشر دقائق .

وأمسك بسيده ، ودفعه أمامه دفعاً فأخرجه من البيت ، فقفز السيد فوغ إلى عربة ووعد سائقها بمائة جنيه وانطلق كالبرق ووصل إلى نادي الإصلاح .

أعلنت الساعة الثامنة وخمساً وأربعين دقيقة حينما ظهر في القاعة الكبرى .

لقد أكمل فيلياس فوغ جولته حول العالم في ثمانين يوماً ، وربح الرهان .

ولكن ، كيف ارتكب هذا الخطأ وهو الرجل الدقيق ؟ وكيف ظن أنه يوم السبت 21 كانون الأول حين وصل إلى لندن ، على حين أنه يوم الجمعة 20 كانون الأول ، أي تسعة وسبعون يوماً بعد انطلاقه في جولته ؟

والتفسير بسيط للغاية .

لقد ربح فيلياس فوغ – دون أن يدري – يوماً في رحلته ، لأنه قام بجولته حول العالم متوجهاً نحو الشرق ، وكان ممكناً أن يخسر يوماً إذا توجه نحو الغرب .

والواقع أنه حين يمضي نحو الشرق باتجاه الشمس فإن النهار ينقص أربع دقائق لكل درجة من درجات العرض على الكرة الأرضية ، وعددها مائة وستون درجة ، فإذا ضربناها بأربع دقائق يكون المجموع أربعاً وعشرين ساعة ، أي ذلك اليوم الذي ربحه السيد فوغ دون الانتباه إليه ، وبعبارة أخرى :

إن فيلياس فوغ حينما توجه نحو الشرق ، فإنه يرى الشمس وقت الهاجرة ثمانين مرة ، على حين يراها زملاؤه في لندن تسعاً وسبعين مرة !

لقد ربح فيلياس فوغ الرهان ، وربح المال الذي راهن عليه ، فأعطى قسماً منه لباسبارتو جزاء إخلاصه ووفائه وليدفع فاتورة النور أيضاً .

ذلك المساء توجه السيد فوغ بكل رزانة إلى الفتاة وقال لها :

– أما تزالين راغبة فيّ ؟

– طبعاً .

– وهذه أموالي بين يديك .

– لا . إنها لك لأنك ربحت الرهان .

– لولا أنك وافقت على زواجي منك ، لما انطلق باسبارتو باحثاً عن القس صموئيل ويلسون ولما عرفنا أننا ربحنا الرهان وأصلحنا هذا الخطأ .

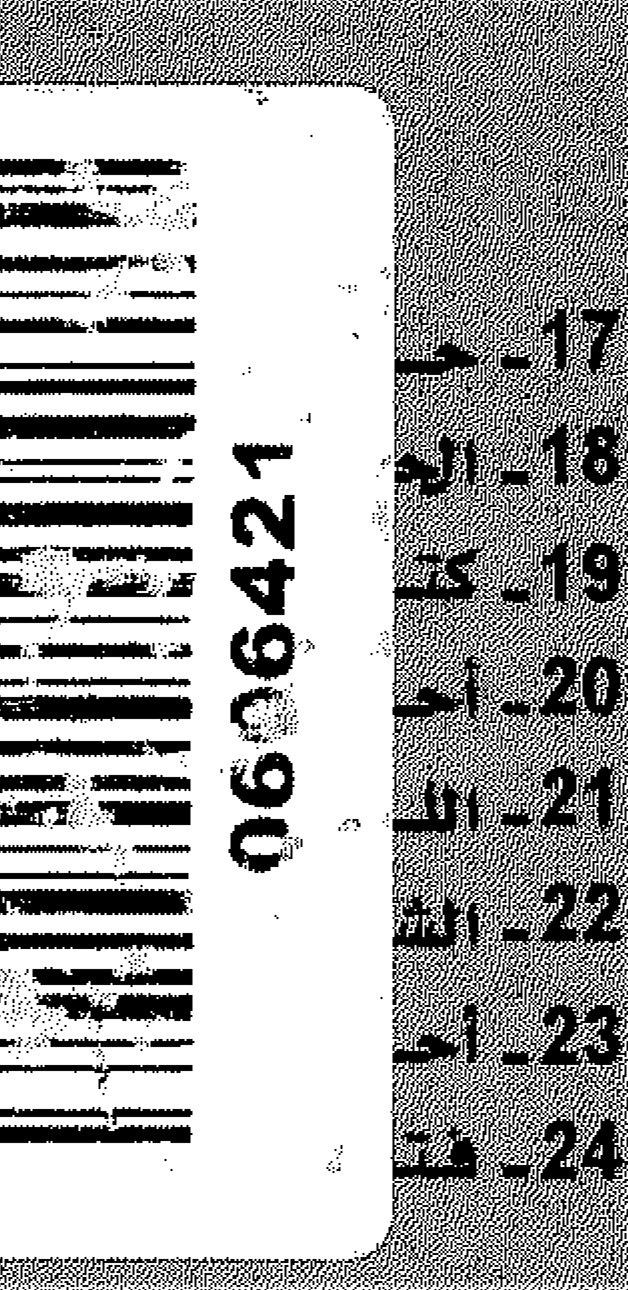
وعقد الزواج بعد أربع وعشرين ساعة فكان باسبارتو شاهداً عليه ، لقد كسب فيلياس فوغ الرهان مرتين : مرة حين تزوج هذه الفتاة ، ومرة ثانية حين أنهى بنجاح جولته حول العالم في ثمانين يوماً .

الفهرس

جول فيرن

كانت الجولة حول العالم سنة ١٨٧٢ أمراً مستحيلاً ، وهذه قصة الرهان العجيب الذي عقده فيلياس فوغ مع أعضاء نادي الإصلاح في لندن ، وانطلق يصحبه خادمه الأمين باسبارتو ليقوما بجولة حول العالم في ثمانين يوماً.
فهل يربحان الرهان؟

صدر من هذه المجموعة :



تصميم الغلاف : هيثم فرحات

دار ربيع للنشر
RABIE PUBLISHING HOUSE
سورية - حلب هـ ٢٢٢٤٧٠٨ - دمشق هـ ٢٢٣٠٢٨٣